رواية

أرهقتني المكسيك يا ماروشكا!

ديراو داتسيدا

أرهقتني المكسيك يا ماروشكا!

رواية

ديراو داتسيدا

المثقف للنشر والتوزيع
نوع العمل: رواية
اسم العمل: أرهقتني المكسيك يا ماروشكا
اسم المؤلف: ديراو داتسيدا
تصميم الغلاف: زكرياء رقاب
رقم الإيداع: 2018/ السداسي الأول
الترقيم الدولي (ISBN): 978 -9931 – 689 -31 -7
الناشر /دار المثقف للنشر والتوزيع
المدير العام / سميرة منصوري
هاتف / فاكس 033 85 65 75 06 75 49 73 86
صفحة الدار على موقع فيسبوك:
https://www.facebook.com/elmothakaf
الموقع الإلكتروني:
www.elmmothakef.com

الطبعة الأولى 1439 هـ - 2018 م

جميع حقوق النشر الورقي والإلكتروني والمرئي والمسموع
محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ
أو التعديل إلا بإذن من الناشر.

تنويـــــــــــه

إن أحداث هذه الرواية خيالية... وأي تشابه بينها وبين الواقع ما هو سوى مصادفة...

خاصة بالنسبة لك يا صبرينة...

أيتها الخائنة!

الإهـــــــداء

إلى كل مريضٍ بِدَاءٍ مزمن...

إلى كل جندي استشهد في ساحة المعركة...

إلى كل من تلاعبت به امرأة أو تعرض للخيانة...

إلى كل حزين... إلى كل مكتئب...

أهدي روايتي هذه...

الفصل الأول

الحمامة الزاجلة

مسدس، قلادة، طلاء أظافر وعطر...

وعيار الموت 9 ميليمتر...

تحمله أنثى بفراستك وشراستك...

بقلب يحمل سم العقرب والثعبان والفطر!

27 فيفري 2017

أنت لا تعلمين كم أنا حزين يا ماروشكا، حزين جدا، وأخاف أن أخبرك عن ذلك كي لا تحزني لحزني بنفس الحجم الذي أخاف به أن أخبرك عن مدى حبي لك فتصدينني ولست من أصد...

أحس بالبرد يا حبيبيتي، جسدي يرتجف، وليس لدي ما أغطي به نفسي، وأخاف أن أخبرك أنني بردان فتخاليننني ضعيفا، فأكتفي بضم رجلي إلى صدري وأرتعد في صمت!

لا أحب العنف، لكنني عنيف جدا، وقد أعنف أحد رجالي بقسوة لأن ترددات صوته فاقت تلك التي تحتملها أذني...

لا أحب المداهنة، لكنني أبتسم لمن أكره وأعبس لمن أحب، أكذب، أخادع، أنافق لكي أعيش بين مجتمع يعتبر هاته الصفات دعائما أساسية له!

لا أخفي عليك أن لدي الكثير من الصديقات يا ماروشكا، لكنني حين أكون خائفا أنساهن كلهن وألجأ إليك فقط لأستأنس بك، وحين أكون مريضا تكونين أول من أخبرها، وحين أكون سعيدا لا أفكر بمشاركة سعادتي شخصا سواك!

لقد سألتني أمي عنك يوما، فأخذت أصف لها كم أنت "مذهلة" ولابد أنني نسيت نفسي وأنا أتحدث عنك بشغف، ولم أستدرك الموقف إلا بعد أن لمحت أخواتي تتغامزن علي بخبث!

لطالما أحسستك أختي الصغيرة رغم نضوجك، وصديقتي الوفية التي أتكل عليها كذراعي الأيمن، وحبيبتي التي أستمتع بحبها بخجل ودون ضوضاء.

شخصيتك قوية جدا يا روحي، وابتسامتك رائعة، وضحكتك ساحرة... أحب أن أكون معك دائما كي أكون بحالة جيدة فأنت الوحيدة التي تخرجين "سيف الرائع" من ظلمة اكتئابي، وسواد تعاستي.

أريد أن أكتب أكثر، أن أبوح لك بكل شيء، لكن أصابعي تجمدت، لذلك سأرسل لك ما كتبت كقنبلة يدوية وأهرب!

01 مارس 2017

سيف! لما تفعل بي هذا! لما تقودني إلى الحزن وأنا في قمة سعادتي... أنا لا أريدك أن تكون حزينا، لكنك أنت من اخترت هذا الطريق ولست ألومك. لا أريدك أن تبرد، لا أريدك أن تعاني، لأنني أبرد كلما بردت وأعاني كلما عانيت!

راسلني دائما يا صديقي... أنا أستمع لك دائما، وإن أردت نصائحي يوما فأنت تعلم أنني لا أحبك عنيفا، كما أنك تعرف مواقفي جيدا اتجاه العنف من الليلة التي صرخت فيها علي أمام أولئك النسوة وجذبتني من ثيابي... لا تدع عملك يؤثر فيك يا سيف فأنت شخص رائع مذهل بحق! العنف لا يليق بك... وما دمت بجانبك فسأقتل ذاك الوحش بداخلك! سأقتله يا سيف!

يسعدني كثيرا أن أكون الفتاة التي تصفها رغم أنني لا أجد نفسي بين كلماتك، ربما أنت تجاملني كعادتك وهذا يسرني جدا، لكن ما أخبرتني به في رسالتك يجعلني أود أن أسألك مائة سؤال لكنني أتذكر أنك لا تحب أسئلتي وتضجر منها كثيرا، كما أنني أعلم أنك لن تجيب عنها، بل ستناور كعادتك وتبدأ بالاستغباء لذلك فلن أسألك...آه يا سيف! أنا حزينة جدا من أجلك لابد أن البرد قاتل في الخارج! لا تجبني...لا تجبني بشيء...قل لي فقط ماذا تفعل...حدثني عن عملك...عن جديدك...عن أصدقائك في العمل...هيااا يا قُلَيْبِي!

10 مارس 2017

ماذا سأخبرك عنا مثلا؟ نحن مرضى يا ماروشكا، جميعنا مرضى، لكننا لا نبدي ذلك، نرتدي ثيابا غالية كي نخفي رخص مشاعرنا، نملأ جيوبنا أموالا كي نحتوي فراغ أنفسنا، حتى عملنا! حتى عملنا مريض مثلنا، نركب سيارات فارهة نركنها في أماكن مظلمة لنراقب أناسا يراقبوننا! نخرج كل ليلة ونحن ندرك أننا قد نموت لكننا لا نخشى الموت، ليس لأننا مؤمنون فلا أحد فينا متدين، بل لأننا نظن أننا حينما نموت سيشفع الله لنا لأنه يعلم حجم مرضنا وسيشفع لنا بؤسنا المثير للشفقة!

لا أدري لما تريدين أن أحدثك عن عملي يا حياتي! ما لك وما للعمل؟ وأنت ابنة أبيها المدللة الذي أهداها الحياة السعيدة في أول شمعة عيد ميلاد أطفأتها! الفتاة التي لا تعرف من الحياة سوى ما تراه خلف شاشة البلازما أو ما تقرأه في تلك الكتب والروايات المثالية. بالمناسبة! لقد اشتريت سيارة جديدة واحزري ماذا أسميتها؟ أنت تعلمين أنني أطلق على كل شيء اسما ولطالما أعجبك ذلك وتعجبت مني، أجل... لقد أسميتها "ماروشكا" باسمك أنت! رغم أنها ليست جميلة مثلك، لكنها تحمل بعض ملامحك الروحية، فهي صغيرة صغر أحقادك، بيضاء بياض قلبك، غريبة

غرابة طبعك! اشتريتها لسبب واحد! لأنني أدمنت عملي وأريد أن أمارسه خارج أوقات العمل! أريد أن أركنها في مكان مظلم لأراقب أناسا يراقبونني! هل أدركت الآن أنني مريض يا ماروشكا؟ هل أدركت ذلك أم تريدين أن أشرحه لك بلغة بلادك الأم؟

03 أفريل 2017

سيارة جديدة! مبروووووك! أرسل لي صورها حالا في الماسنجر! رغم أنني لم أرها إلا أنني أعلم أنها سيارة جميلة لسببين: أولا لأنك أنت من تقودها، وثانيا لأن اسمها ماروشكا!

رسائلك غامضة جدا يا سيف هل يمكنك أن تجعلها بسيطة حتى أتمكن من فهمها؟ أنت تدرك أنني أتحدث اللغة العربية جيدا لكن لغة "فيلم الرسالة" التي تستعملها تجعلني أقف مشدوهة أمامها، لا علينا... المهم أنك تقضي لياليك الآن داخل سيارة وليس في العراء!

أنا لست مدللة يا صديقي! كما أنني أدرك أمورا غير تلك التي تظن أنني أدركها... أنت تعاملني وكأنني صغيرة لكنني لست كذلك... لقد ذهبت اليوم إلى عرس صديقتي نبيلة، لو تراها

كم كانت جميلة بالفستان الأبيض! لقد أردت أن ألتقط صورة به لكنه لم يكن بمقاسي، فنبيلة ممتلئة نوعا ما، ما لنا ولنبيلة...قل لي...كيف حالك اليوم؟ وآسفة عن تأخري الدائم في الرد فأنا مشغولة بامتحانات الجامعة، هيا أكتب لي... أنا أحب حديثك الحلو... أكتب لي شيئا وانشره في الفايسبوك ودعنا نحدث ضجة في التعليقات!

03 أفريل 2017

كيف حالي يا ماروشكا اليوم؟! وهل هذا سؤال؟! إنه كحالي كل يوم! آلام ممتدّة، حبيبة معتدّة، سماء مسودّة!

أنا لا أريد أن أكتب لك مجددا لأنني أعلم أن إحداهن ستعلّق: "TAKE IT EASY" وأنا لا يمكنني فعل ذلك يا ماروشكا! لا يمكنني أخذ الأمور بسهولة أبدا!

أحدهم سيكتب: "رائع!" بدل أن يكتب: "مريع!" والآخر سيكتب: "ضائع!" ويضع إعجابا سريع... والأدهى والأمر... والأدهى والأمر يا حبيبتي حين ترسلين لي أنت بحد ذاتك في الماسنجر لتسأليني هاته الأسئلة وتستغربين من وجه الشبه بينك وبين نفسك! إنه يا ماروشكا لتشابه فضيع!

أنا فنان يا ماروشكا، والفنانون غريبو الأطوار، مثيرون للفضول، متمردون في الحب.

أنا كاتب يا ماروشكا، والكتاب ميالون إلى الخيال، حالمون بالكمال، متشبثون بالآمال.

أنا شاعر يا ماروشكا، والشعراء مجانين تنطق، تكذب ولا تصدق، سيل جارف وخطر محدق!

وأنت... أنت امرأة بمعنى كلمة امرأة، امرأة كألف رجل، امرأة يحلم بها الفنانون ويسهر من أجلها الكتاب ويتغنى بها الشعراء!

أنت... سأخبرك يوما ما من أنت يا حواء! لأن آلهة الخواطر مرهقة جدا وتنوي الرجوع فورا إلى مملكة السماء! يا حياتي... يا أيتها المتمردة الحسناء!

06 أفريل 2017

مساء الخير... شكرا جزيلا على ما نشرته من أجلي... من تلك التي علقت؟ إنها لا تعرف حتى الكتابة! وتظن فوق هذا نفسها كاتبة! هاه! "ستتهافت عليك النساء" وكأنها تكتب باليونانية!

لو كنت مكانك لحذفت تعليقها! ربما هي لا تعرف أنك لي وحدي، أو ربما هي لا تعرفني! لا تقلق! لن أقول لك احذفها من قائمة أصدقائك أو شيئا من هذا القبيل، لكنني سأطردها من بروفايلك بطرقي الخاصة! لقد وضعت لها إعجابا على تعليقها، وسأضع لها إعجابا في كل تعليق تضعه في منشوراتك كي تفهم ما يجب فهمه!

دعنا منها إنها مقرفة! هل من قصص؟ هل من بطولات؟ ليتني كنت أعمل معك، كنت لأجعل كل شيء فوضويا، كنت لأكسر كل شيء، وأفسد كل شيء، ثم آكل وأنام! أنت تعرف جيدا أنني أملك حزاما أسودا في الأكل والنوم، ولطالما أزعجك ذلك مني...متى تعود يا قُلَيْبِي؟ لقد اشتقت إليك كثيرا.

06 أفريل 2017

تخيلي معي يا ماروشكا أنك تستيقظين باكرا يوم الخميس وأنت تحسين بانقباض في قلبك وضيق في صدرك، ترتدين ثيابك، تتناولين فطورك، تخرجين من غرفة تكرهينها نحو عالم يكرهك! تمشين بين الأزقة والشوارع فتجدين جارك الوغد يضرب ابن أحدهم بقسوة، والصغير يبكي ويطلب الرحمة! تخيلي

يا حبيبتي أن ذلك الصغير يلجأ إليك والدمع يغمره... يستجديك لتنصفيه! وماذا تفعلين؟ تنظرين إليه بقسوة وتقنعينه أنه يستحق الضرب! يستحق أن يعامل بدونية! لأن الوغد الذي اعتدى عليه ملك في عالمك يا ماروشكا! وأنت جلاده.. في عالمكم الحقير!

لن تتخيلي ذلك، لن تستطيعي تخيل أمر فضيع كهذا مالم تعيشيه كل يوم، مالم تشاركي فيه كل يوم!

أنثى مثلك لن تتخيل سوى عالم جميل جمال تلك الشامة التي اختارت سقف الحاجب موطنا لها، عالم باهر بقدر ابتسامتك، بقدر.... أنت جميلة جدا يا حياتي ولا أظن أن الجميع يراك كما أفعل، وأدعو الله أن أكون محقا!

أنا أعشق روحك التي لا أظن أن الجميع رآها، ومن فعل فلا أظنه صدق أنها روحك الحقيقية! أنا أيضا لم أصدق في بادئ الأمر أن روحا نقية مثل روحك توجد حقا في هذا العالم! لم أصدق إلا بعد أن عرفتك جيدا، تغلغلت في أعماق روحك، سهرت معك ليال في الماسنجر "مخدعنا السري!" سافرت معك إلى بلاد أخرى! شاهدتك وتأملتك جيدا! حتى وأنت نائمة! أعلم أنه سر... وأنني لم أخبرك بذلك من قبل، لكنني قضيت دقائقا

عديدة وأنا أحدق في هذا الملاك النائم! لا أظن أن الملائكة تحرسك يا ماروشكا! أظن أن الله من أرسلك لتحرسيني! لتأنبيني كلما رأيتني أقنع ابن الجارة بأن عليه أن يتحمل لكمات جارنا السكير! لتحميني من عقاب الدنيا! ذلك العقاب الذي يستحقه من يخافون قول الحق، من يشاركون في الجريمة بصمتهم..... تبا! أنا أحبك جدا يا عذراء! لما أنت أنثوية إلى هاته الدرجة؟ لما روحك عذبة! لما نظرتك صلبة! لما دوما لك الغلبة!

لدي سر خطير يا حبيبتي، هل أطلب منك أن تعطيني أذنا تسمع؟ هل أخبرك به لأجعل فضول إحداهن يشبع؟ مممم سأخبرك في رسالة أخرى يا ماروشكا القلب.... يتبع!

07 أفريل 2017

لما تعذب نفسك يا سيف؟ لما تفعل هذا لنفسك؟ أنت لا تستحق هذا كفاك! أنت دائما ما تلوم نفسك رغم أنك تفعل كل ما بوسعك لتكون شخصا جيدا! كلنا يخطئ يا صديقي... جميعنا يفعل! أنا مثلا قمت بترك صديقتي وحيدة في الجامعة ولم آخذها معي في سيارتي لأنني كنت منزعجة منها، فأتى صديقها الذي كانت معه في خلاف وقام بضربها ضربا مبرحا أدخلها

المستشفى، وقد لمت نفسي كثيرا، لماذا! لماذا لم آخذها معي! ربما لما حدث ذلك لو فعلت! وربما لحدث ذلك لو لم أفعل! وربما لو، لو، لو.... لكنني قررت أن لا ألوم نفسي مجددا، فهذا قضاء وقدر يا سيف ! هوّن عليك! هل تذكر حينما كنت أقوم بعمل سيء فتخبرني بأنني "أبستش"؟ حسنا إذن، أنت "تبستش" الآن، فكفاك "تبستيشا"!

ماذا لو قلت لك يا صديقي أنني كنت أدرك أنك تختلس النظر إلي وأنا نائمة، ماذا كنت لتجيبني؟ ماذا لو قلت لك أنني كنت ـ نصف نائمة ـ وكنت بدوري أختلس النظر إليك وأنت تختلس النظر إلي! أنا مشاغبة مثلك تماما يا سيف! لكنني امرأة وأجيد فعل هاته الأمور أفضل منك!

هل تعلم أن لديك أطول أشفار رأيتها في حياتي؟ لما لا تقرضني إياها كي أذهب بها إلى الأعراس؟ هل تعلم أنه يمكنك الطيران إن أنت رمشت خمس رمشات متتالية؟ كيف ترى العالم خلف تلك الأشفار؟ أراهن أنك تراه مخططا بالأسود!

هل تصلك رسائلي يا صديقي؟ هيا أخبرني الآن بما تفكر؟ كيف تحس؟

11 أفريل 2017

هل أحسستِ من قبل بطعم شيء لا يوجد في لسانكِ بمجرد التفكير فيه يا عزيزتي ماروشكا؟ لأنني أحسست كثيرا بمذاق الدم في لساني وأنا أفكر بالموت. قد تحتارين كيف لشاب محب للحياة مثلي أن يفكر بشيء كهذا، لكنني أفكر بالموت كثيرا يا حبيبتي! وأحس بطعم الدم عند كل منعرج أمشي فيه... المنعرجات منتشرة في كل مكان يا روحي...فكم من شخص هلك في منعرج وهو يقود بسرعة عالية، وكم من شاب اغتيل برصاصة غادرة ودُفن بثيابه البالية!

المنعرجات خطيرة جدا هنا يا حياتي، أقطعها كل ليلة مع أطفالي والخوف يتملكني! ماذا لو مت وتركتهم؟ ماذا سيحل بهم؟ والأسوأ من ذلك، ماذا لو مات أحد أطفالي وبقيت أنا على قيد الحياة! ماذا سأخبر أمه؟ إنها الآن في بيتها مطمئنة لأن ابنها في أياد آمنة! يدي ليست آمنة يا ماروشكا! ماذا لو قالت لي يوما ما: "أنت من قتلت ابني!" بماذا سأجيبها؟

الوضع سيء هنا يا حياتي، نحن نخوض حربا أهلية، في جبل فيه "نحن" و "هم"، نسمع كل يوم عن أطفال تموت

برصاص وقنابل.... أطفال يبعدون عنا بضعة كيلومترات، أتعلمين ما الشيء الوحيد الذي يسليني هنا يا حبيبتي؟ إنها أنت ورسائلك التي تؤنسني في الماسنجر، أحس دائما أنك معي تسليننني في الطريق، وترافقينني في المنعرجات، فإن أصابتني الرصاصات الغادرة في جانبي الأيمن وسقطت صريعا، فستكونين بجانبي تضمدين جراحي، وإن مت فسوف تكونين هناك لتنعيني، وإن مات أحد أطفالي... فستقفين بجانبي لتقنعي أمه أنني بريء من دمه! وما أنا سوى طفل مثله أجبرتني الدنيا أن أكبر، هل ستفعلين ذلك من أجلي يا ماروشكا القلب؟ هل ستفعلين ذلك؟

12 أفريل 2017

هل تريد أن تراني أبكي يا سيف؟ هل تريد أن تراني حزينة؟ لقد وصلت إلى ما تصبو إليه! أنا أطلب منك رسائلا مطمئنة وأنت تحدثني عن الموت! توقف أرجوك! دعك من تلك الحرب وعد إلينا، البلاد آمنة، تعال هنا معنا وعش بأمان! أنا لا أريدك أن تموت! أمك تحتاجك! منيرة تحتاجك! جميعنا نحتاجك! لكن هل تعلم شيئا؟ ما هاته سوى مخاوف طبيعية قد تمس أي شخص كان، رجال مثلك يا سيف لا تموت بسهولة... رجال مثلك

لا تسقط إلا بعد أن تكتب تاريخا... كفانا سلبية إذن! ولتبتسم للحياة... أنت جميل حين تكون سعيدا وتجعل الحياة تبدو كذلك... أنا أعلم أنك لا تحدثني إلا قليلا، لكنك على الأقل تحدثني حين تكون سعيدا، وماروشكا تسعد حينما تكون سعيدا وتحزن حينما تكون حزينا. أتذكر ذلك اليوم الذي تركتك فيه لمدة دقيقتين في المنزل ولما عدت وجدتك قد فتحت كل العلب؟ أحسستك ابني فبدأت بتوبيخك! لطالما أحسستك ابني يا سيف! أخاف عليك كأمك! وأحنو عليك كأختك! لا تقطع قلبي عليك أرجوك!

سأكون دوما إلى جانبك يا سيف، لقد تعاهدنا أن لانفترق ومن خان فليحترق! اكذب علي أرجوك! قل لي أنك بخير، أو تعال إلي وسأجعلك بخير! أنا أعرف ترددات جيدا يا سيف وأتقن ترجمة موجاتك...كلما ضاقت بك الدنيا أكتب لي...أنت تعلم أنني ماروشكا..."مجعدة الشعر" كما تناديني... "جميلة الجميلات" كما أنادي نفسي!

16 أفريل 2017

آسف ماروشكا، كنت سأحدثك اليوم، وأفرغ لك خزانة همومي، لكن اليوم عيد ميلاد ابنتي جوري، وسأقتل أي شخص يقول إنها ليست ابنتي ثم سأقوم باختطافها وتبنيها!

"لين جوري" أو كما نناديها "خبزة"، "خبوز" أو "المخبز" وهذا لحيازتها كتلة عضلية أكبر من تلك التي تحوزها أختها "لجين" تطفئ اليوم شمعتها الأولى!

جوري هي تلك الرضيعة التي أعطتني إياها أمي يوما ما وقالت لي: "اعتني بها، فهاته حين تكبر سيصبح مهرها ثمانين مليونا".

جوري هي تلك الصغيرة التي إن وضعتها في كرسي السيارة وسافرت معها إلى الكاميرون فستبقى في نفس الوضعية ولا تئن ولا تبكي!

جوري هي تلك البريئة التي إذا رأيتها تحبو أردت أن تحملها بين يديك، وإن حملتها سارعت لإعطائها لشخص آخر يمتلك عضلات مفتولة علّه يتمكن من حملها!

جوري هي تلك الفتاة التي إن رأيتها مع والديها سارعت بتقبيلها قائلا: "إن ابنكم وسيم جدا! ما اسمه؟".

جوري هي تلك الأنثى التي إن مرضت فمن المفترض أن يتم علاجها في مستشفى "فال دوغراس" بفرنسا، لكن القدر شاء أن يعطيها أما تشخص مرضها أنه يدعى "نانّاها" وتأخذها إلى عجوز في حي "الشيشان" لتضع لها "لبخات" على رأسها!

جوري هي ذلك المخلوق الذي يجب أن يتم تصويره في إشهارات حفاضات الأطفال، هي تلك الصغيرة التي تليق أن تكون نجمة، هي تلك الفتاة التي جعلتني أتجاهلك اليوم يا ماروشكا!

18 أفريل 2017

عزيزتي ماروشكا... لقد أرسلت لك رسائل عديدة، لما لا تردين؟ آمل من صميم قلبي أن لا تكوني مريضة أو أصابك مكروه لا سمح الله!

أنا أقوم بإتمام ملف جواز السفر... سأسافر يا قلبي... سأسافر إلى مكان بعيد جدا عن مدينتنا، فيه أناس لا يتحدثون لغتنا ولا يعتنقون تقاليدنا... تقاليدنا السخيفة يا حبيبتي!

لقد نصحني طبيبي النفسي أن أسافر، لقد قال أنه ربما لو سافرت قد أتعافى... ربما يكون محقا، وربما لا، لكنني عقدت العزم أن أبتعد عن هاته البقعة الكريهة في أقصى وقت ممكن!

نفسيتي متعبة جدا يا ماروشكا وهي تؤثر على خلايا جسمي خلية خلية، لقد ذهبت إلى السوق قبل قليل لأشتري بعض الفاكهة، فغازلتني حبات فراولة أيما غزل وتغنجت أمامي أيما تغنج! كنت سأشتري بعضا منها، لكنني تذكرت أنني أعاني حساسية منها فعدلت عن ذلك، وبعد قليل ظهرت تلك البقع الحمراء في جلدي! أجل يا روحي... إن مجرد التفكير في الحساسية جعلها تلتهم لحمي التهاما!

كل شيء نفسي يا حياتي، هذا ما تعلمته من هاته الحياة البائسة... ربما أنا من أجعل نفسي شقيا... فأنا على سبيل المثال أستيقظ كل صباح وأنا أفكر في الأشياء التعيسة التي حدثت أو ستحدث لي ثم أقرأ فصلا من رواية "آلام الشاب ڤارتر" للفيلسوف "غوته" ثم أبدأ بالصراخ على كل من يقابلني ثم..... آه تبا! ها أنا ذا أتحدث عن نفسي مجددا! حدثيني قليلا عنك يا ماروشكا؟ كيف هي حياتك الجميلة؟ لما لا أحدث تغييرا في حياتك كالذي تحدثينه في حياتي؟ هل تعلمين يا حبيبتي أنك لو

أعطيتني من الحب بعض ما أحتاجه لعشت سعيدا أبد الدهر؟ هل تعلمين أنك أول فتاة أتخيلها زوجة؟ زوجة بمعنى كلمة زوجة... أي تلك المرأة التي أعطيها لقبي لتعطيني كعكة محروقة، وأرزا لا أحبه، وأطعمة أخرى مذاقها لذيذ وشكلها "ربنا كما خلقتنا"...الشيء الطريف هو أنني أعلم أنك لست لي، ولن تكوني لي... إنه شعور صعب يا ماروشكا أن نرى من نحب بعيدين عنا، يضعوننا دوما في المرتبة الثانية، يعيشون معنا لحظات سعيدة كلانا يعرف أنها ليست دائمة...

كل شيء نفسي يا رفيقتي... وحديثي هذا جعلني أكتئب أكثر، أنا أكتب لأتنفس لكنني أجد أن كل ما أتنفسه ليس سوى أحادي أكسيد الكربون...

أنا لا أرى لوحة المفاتيح جيدا... لما.... لماذا... لماذا يا ماروشكا لماذا...؟

20 أفريل 2017

لما تتصرف وكأننا على علاقة غرامية يا سيف؟ هل نحن متزوجان؟ دعني أخمن... لا! إذن فأنا لست ملزمة أن أرد على كل رسالة كما أنت لست ملزم بذلك.

أنت تعلم أنني على علاقة بكريم، ونحن معا منذ ثماني سنوات، ولن أتركه من أجل أي شخص...علاقتنا غريبة يا سيف...أنا أحبك أيضا...لكن ليس أكثر من صديق...أقصد أكثر من صديق...لا يهم...أتعلم أن الكل يظن أننا على علاقة؟ زميلاتي وزميلاتك... أصدقائي وأصدقاؤك...عائلتي وعائلتك...إنه شيء عجيب...ربما لأننا نتفق كثيرا، أو ربما أنت من أخبرتهم أننا على علاقة... لقد كنت قبل قليل أسمع أغنية "أنا أحب شكلك" للمغني "إيد شيرن" وأعجبني قوله "نحن نتجاذب ونتنافر كما يفعل المغناطيس"، إنه يتحدث عنا يا صديقي، أتذكر يوم كنا معا في سيارتي واتصل بي صديقي سفيان؟ لقد كنت مشغولة بالحديث معه حتى وجدت أنك قد خرجت من السيارة مغلقا بابها بعنف، لم أفهم ما الذي أزعجك، لما تمانع أن يكون لدي أصدقاء؟ وكذلك يوم وضعت صورتي مع صديقي في الفايسبوك، لقد أخفتني حقا يومها يا سيف، لقد قمت بنزعها دون أن أسألك عن السبب، لقد صرت أخاف ردات أفعالك، لقد رأيتك مرارا وأنت تستشيط غضبا، غضبك مخيف جدا! فأنت تنحني حين تكون غاضبا بينما تبرز عروقك في كافة أنحاء جسمك وتكبر عيناك وهما تقدحان شرا بينما تتغير سحنتك ويصبح صوتك عاليا ومخيفا! وكأنك تستحيل من ملاك إلى شيطان في

بضعة أجزاء من الثانية... أظنك تمثل دور الملاك يا سيف... لقد أحسست بذلك يوم كنا نضحك معا داخل السيارة ثم أردت أن تضع أغنية لكنك لم تجد القرص المحمول فسألتني عنه فأجبتك أنني نزعته كي أشحن هاتفي، فصرخت في وجهي قائلا: "لما نزعته!" وقمت بالتلويح في وجهي بيدك كأنك أردت أن تضربني ثم امتنعت. لا بأس يا سيف أنت قُلَيْبِي وستبقى قُلَيْبِي أبد الدهر!

21 أفريل 2017

مساء الخير عزيزتي ماروشكا، أنا غائب هاته الأيام لأنني لا أرغب بمحادثتك... آاااا... أقصد... لأنني مشغول قليلا... بل كثيرا...

لقد ذهبت اليوم إلى المستشفى لأستخرج بطاقة زمرة الدم فدخلت المستشفى غاضبا وخرجت منه محتارا! قد تحتارين يا صديقتي مثلي لو أخبرتك حجم الحفاوة التي تلقيتها داخل المشفى والتي جعلتني أتساءل إن كان هذا هو المستشفى الوحيد الذي يعامل فيه الناس بلطف، أم أن المستشفيات قد أصلحت وعمالها قد ارتقت!

لقد كان الحارس هو أول المبتسمين في وجهي هذا اليوم حيث باشرني بالسلام طالبا مني أن أركن سيارتي في الداخل مع سيارات الموظفين لأن ركنها في الشارع غير آمن نوعا ما!

دخلت إلى قسم الاستعجالات لأجد فتاة في ركن الاستقبال تسألني عما أحتاج ولما أخبرتها قطبت حاجبيها مستاءة واعتذرت مني بكل لباقة قائلة إن المستشفى لا يصنع تلك البطاقات وأنه علي أن أذهب إلى العيادة التي تفتح في الغد... وبقيت تعتذر مني وكأن الخطأ خطأها فشكرتها وخرجت عائدا أدراجي...

أتعلمين ماذا فعلت يا ماروشكا! لقد نادتني وقالت لي تعال معي، ثم اتصلت بالممرض هاتفيا فأتى إلي مرحبا وأدخلني إلى قاعة التحليل وهو يقول لي أنني ما دمت قد قصدت بابهم فلن أرجع خائبا... بقيت أجاذبه أطراف الحديث فتحدثنا عن روسيا وعن جمال الفتيات هناك وعن حلم كلينا أن نرمي ماضينا في مستنقع بلادنا ونرسم مستقبلنا في البلاد البيضاء! وماهي إلا دقائق حتى ظهرت مشكلة أخرى وهي نفاذ البطاقات لديهم فقام بدوره بإرسالي إلى فتاة أخرى قامت بمفاجأتي حقا! تخيلي يا صديقتي أنها قامت بصنع بطاقة جديدة باستخدام الكمبيوتر ثم قامت بطباعتها وتدوين المعلومات التي دونها الممرض ثم

وضعت ختم المستشفى وأعطتني إياها مبتسمة قائلة لي: "مرحبا بك في أي وقت، نحن هنا في خدمتك، وبالمناسبة، عيد ميلاد سعيد!"...

لقد خرجت يا ماروشكا من المستشفى وأنا أقرص نفسي لأتأكد أن ما حدث لي حقيقي وأنني حقا في بلادي...

ماروشكا أنا لا أرغب بالحديث معك... أردت فقط أن أقص لأحدهم ما حدث لي... ولم أجد أحدا... إلى اللقاء...

24 أفريل 2017

لما لا تريد الحديث معي يا سيف؟ هل أنت مستاء مني؟ كفاك "تبستيشا" ودعنا نرجع كما كنا، أنت تعرف كم أنت عزيز على قلبي! أنت أعز قُلَيْبٍ رأيته في حياتي! أنا ماروشكا القلب يا سيف، ماروشكا القلب التي اشتاقت إليك كثيرا! لقد اشتقت إلى شقاوتك يا شقي! اشتقت إلى ذلك اليوم الذي ذهبنا فيه إلى مدينة سطاوالي لنأكل المثلجات فأكلت أنا المثلجات بينما أكلت أنت ألفين وخمسمائة صورة كانت في هاتفي...

اشتقت إلى ذلك اليوم الذي كنا فيه في مدينة بومرداس، وكانت الزحمة شديدة، وقلت لك "قُلَيْبِي" فأصبحت عيناك كفنجاني قهوة وصرخت قائلا: "ماذا ناديتني لتوك!".

اشتقت إلى ذلك اليوم الذي نزعت فيه خاتمي من يدي ورفضت أن تعطيني إياه إلا إن أنا ترجيتك، ولما جربت معك كل أنواع التهديد والوعيد، وجدت أنك خشبة أو عمود فولاذي لا ينحني فقلت لك "Pleaaaaase" ولما قمت بوضعه في أصبعي نظرت إليك وأكملت "شششش" أي أنني لم أترجاك! لقد قلت يومها أنني مجعدة شعر تستحق الضرب لكنك لم تضربني...

بالحديث عن الضرب... اشتقت إلى ذلك اليوم الذي كنا فيه معا في زرالدة وكنا نبحث عن مكان ما فطلبت مني أن أتوقف لتسأل شخصا ما، ولما توقفت وبدأت أنت بالحديث معه وجدت أنني قد سببت زحمة سير فأخذت أتقدم ببطء بينما أنت تحدث الرجل وتلكمني بيدك الأخرى، ولما زدت في السرعة التفتت إلي وضربتني بقوة صارخا: "توقفي!"، لقد ضحكت يومها كثيرا رغم الألم الذي سببته لي في كتفي... اشتقت إليك يا متوحّش! اشتقت إلى ذكرياتنا!

26 أفريل 2017

الذكريات... ربما هي كل شيء بقي حيا بيني وبينك يا ماروشكا، فرسالتك الأخيرة جعلتني أمضي يوما كاملا في الفراش وأنا أقوم بذلك العمل النبيل الذي أمارسه كلما أويت إليه "أحدق في السقف!"... لطالما أحسست أن سقف غرفتي هو الشيء الثاني الذي يشاركني همومي بعدك يا صديقتي... لكنه يتفوق عليك في شيء واحد، إنه يشاركني تلك الهموم السرية التي لا أريد أن أبوح لك بها... الهموم المتعلقة بك يا ماروشكا!

لا أدري إن كنت مخطئا في حقك لكنني أراك تلك الفتاة العلمية التي تعرف أن لكل نتيجة سبب ولكل سبب نتيجة! أنت تلك "المنطقية" التي درست أن مربع طول وتر المثلث القائم يساوي مجموع مربعي طولي الضلع الأول والضلع الثاني! تلك الفتاة التي تمت "برمجتها" برمجة مثالية... وكل معطيات خاطئة تقوم برفضها مباشرة كما "برمجت" أن تفعل!

أنت لا تعرفين شيئا عن العلوم الإنسانية يا صديقتي! أنت لا تعرفين كم أن الإنسان معقد وكم أن تركيبته "لا منطقية"!

أنت لم تدرسي أن هنالك نتائج تأتي بلا أسباب، وأسباب لا تؤدي إلى أية نتائج... ولم تعرفي أن نظرية فيثاغورس تنطبق على المثلثات الهندسية فقط ولا تنطبق على "المثلثات البشرية!"... أنت لم تتعلمي بعد أن المعطيات الخاطئة صحيحة أحيانا.. والصحيحة مخطئة في أغلب الأحيان!

لطالما أردت أن أريك الحياة الثانية... الحياة التي لم تعيشيها... الحياة الشبيهة بفصل الربيع في بلادنا... حيث يستيقظ المرء حزينا ثم يموت من فرط السعادة، ثم يكتئب فجأة دون مبرر... ثم يضحك ثم يبكي ثم ينام!

أنت واقعية جدا يا ماروشكا... والحياة خيالية... الحياة كاذبة... و... وحقيرة!

أنت جميلة جدا يا ماروشكا... والجمال نسبي.. الجمال مخادع... الجمال مؤقت!

أنت طبيعية جدا يا ماروشكا... والطبيعة غيورة ... الطبيعة تحطم الطبيعيين... الطبيعة لا تحب المنافسة!

أتعلمين شيئا.... لا شيء... أقصد... حسنا.... أتعلمين شيئا يا صديقتي... محاولة تجاهلك هو أصعب مشروع قمت به في

حياتي، أنا لا أؤمن بالمستحيل لكن تجنب الحديث معك جعلني أؤمن به! نحن حقا "نتجاذب ونتنافر كما يفعل المغناطيس!".

أنت تفهمينني جيدا يا حبيبتي وتعتنين بي... وتفعلين ذلك من أجلي... أقصد أن نيتك صافية وليست لك أي أهداف كما أن لا أحد يجبرك كي تفعلي ذلك... وهذا يا ماروشكا شيء رائع بحق!

لقد قرأت عن كليوباترا... عن لالا فاطمة نسومر... عن الملكة بلقيس... عن نساء عظيمات غيرن العالم... أظن أنك تستحقين فصلا في كتابهن يا روحي... فصلا بقلمي!

أنا لست أجامل يا ماروشكا ولا أغازل! أنا فقط أريدك أن تعرفي كم أنت عظيمة رغم أنني أدرك أنك تعلمين ذلك!

أنا أعشقك يا حياتي! لكن هنالك شيء تغير في نفسيتي... لقد كنت أعشقك ولي هدف واحد! لكنني اليوم أعشقك عشقا شفاف... بلا هدف... ولا أهداف!

29 أفريل 2017

ليست الذكريات هي كل ما تبقى بيني وبينك يا سيف... مازال بيننا الكثير يا أيتها الموجة السلبية!

المشكل ليس فِيَّ إطلاقا! المشكل فيك أنت! ألا تعلم أنك مريض نفسي يا سيف؟ ألا تذكر أنك أنت من قلت لي بنفسك: "أنا معقد بعض الشيء يا ماروشكا فلا تلوميني، أنا أحيانا لا أفهم حتى نفسي!".

كيف تنتظر من شخص لا يفهم نفسه أن يفهمه الآخرون؟ ربما لا أفهم في العلوم الإنسانية كما تقول، لكنني أعلم جيدا أن علاقة مع متقلب مزاج مثلك هي أسوأ علاقة قد يضع الإنسان فيها نفسه في حياته يوما ما!

أنت كالنار يا سيف... كل من يبتعد عنك يبرد وكل من يقترب منك يحترق!

أنت ماضٍ رائع يا صديقي، وحاضر مذهل...لكنك مستقبل غامض!

الفتاة التي تتعلق بك هي كالفتاة التي تزور أول مرة في حياتها نادٍ من نوادي "لاس فيغاس" وهي تملك حجرة نرد واحدة وفرصة واحدة، فإما أن تكسب ملايين الدولارات وتعيش سعيدة أبد الدهر أو تخسر كل ما تملكه وتعيش بقية حياتها نادلة في نفس النادي!

جميع الفتيات يذهلن حين يتعرفن بك، يتعلقن بك بسرعة، يحلمن بمستقبل معك، لكنهن سرعان ما ينسحبن حين يرين وجهك الثاني، وجهك الذي لم أنسحب حين رأيته، بل حميت نفسي فقط منه كي لا أتأذى كما تأذت خليلاتك قبلا يا زير النساء!

أنا آسفة إن كنت قاسية معك، لكنني أريد فقط أن أكون صريحة معك كما أنت معي، أنا لست مثلهن يا صديقي، أنا لا أرمي نفسي في النار وأنتظرك لكي تنقذني، فأنت ذلك الشاب الوسيم الذي قد يأتي على حصان أبيض لينقذ حبيبته إن كان مزاجه حسنا، وذلك الوغد الذي قد يذكي النار بمزيد من البنزين لتحترق حبيبته إن كان مزاجه سيئا!

أفضل علاقة معك هي علاقتنا الآن... إن تقدمتَ أتأخر، وإن تأخرتَ أتقدم... تاركة دوما بيني وبينك مسافة الأمان!

سيف... أنا لست من تغزل بصنارتها قصص الحب لعشاقها دون أن تعقد نهايتها بل أنت من تفعل!

آه... كم أكره أن أكون جدية! لما تقودني إلى ذلك! هيا لنرجع كما كنا! هل تعلم أنني جميلة الجميلات ذات الشعر الأملس التي تجيد الغناء والرقص وطهو الطعام؟

30 أفريل 2017

ربما تكونين محقة يا ماروشكا في كل ما قلته لي... أجل أنا مريض نفسي... وأنت تعلمين أن ذلك المرض لازمني منذ طفولتي... منذ حادث السيارة الذي أودى بأسناني وخلق في نفسي عقدة الابتسام، مرورا بالعملية الجراحية التي أجريتها في مستشفى بني مسوس وتركت فيها بعضا من توازني، نهاية بدخولي لهذا السجن الذي هدم ما بقي من نفسيتي ليجعلني ذلك الوحش الذي تتكلمين عنه يا ماروشكا!

هل تعلمين أنني أحدث نفسي منذ صغري بصوت مرتفع وبالإشارات أيضا؟ إن كنت لا تعلمين ذلك فأنت لا تعرفين شيئا عني يا عزيزتي...

لقد أخبرتني مرة أنه لا يمكن معرفة شخص ما بمجرد الحديث معه في مواقع التواصل الاجتماعي، وأن مواجهته والحديث معه وجها لوجه أمر مختلف جدا...أنت محقة يا ماروشكا فأنا فصيح جريء خلف الماسنجر خجول متردد أمامك...

حضورك قوي جدا يا روحي! يفقدني تركيزي! يذهب بأفكاري! يجعل يومي الأبيض أدهم ولساني الفصيح أبكم!

أتذكر جيدا يوم تعرفت عليك يا حياتي... لقد كنتِ كحمامة وديعة خائفة من هذا النمر المفترس الجائع! لقد كنت أستحوذ على جل الكلام بينما لا تفعلين شيئا سوى الابتسام! لقد كنت تقولين في نفسك "من هذا الجامح؟" وأنا أقول في نفسي "من هاته المتوحدة؟" ورغم ذلك حاربت... حاربت لأكسر الجليد بيني وبينك... وها أنت الآن تستحوذين على جل الكلام بينما لا أفعل شيئا سوى الابتسام وأنا أقول في قرارة نفسي: "من هاته المجنونة!" بينما تقولين: "سنرى من أكثرنا جموحا يا أيها الذكي!".

أظن أن كل من شاهد فيلم "الفرقة الانتحارية" وعرفنا جيدا فسيعرف حتما أنه أمام "الجوكر" و"هارلي كوين"! الفرق الوحيد بينك وبين "هارلي" هو شعرك المجعد الذي لا يصلح لا للكي ولا للطي!

ما أجمل أن يكون الشخص مجنونا! وما أصعب أن يتحكم بجنونه مثل ما تفعلين يا ماروشكا!

ذاكرتك قوية جدا... فأنت تتذكرين كل شيء بحذافيره وتفاصيله الدقيقة، بينما لا أتذكر شيئا سوى أننا نضحك حينما نكون معا... نضحك ببراءة... بجنون... بحب... وكأننا أخوان وحيدان لأمنا وأبينا...

أرجو فقط أن لا تتذكري أنني أدين لك بمائة يورو لأنني أنا أيضا لا أتذكر....

بدايتنا رائعة جدا يا ماروشكا، ما يليها أروع، لكن "متقلب مزاج مثلي" و "غامضة" مثلك ستكون نهايتهم حزينة، كئيبة... مريعة... وهذا ما يحزنني كثيرا يا روحي... أنا أحس أنني سأكتب يوما ما لك رسالة، لكن الماسنجر سيخبرني أن الشخص الذي أود محادثته غير موجود، وسينسى ساعي البريد الظرف

في مركز البريد أو يخطئ في العنوان، وستموت الحمامة الزاجلة بردا قبل أن تصلك إلى موسكو!

06 ماي 2017

ماروشكا! لقد مضى أسبوع ولم تردي على رسالتي؟ هل أنت بخير؟ أم أن كريم يمنعك من الحديث معي؟ لم لا تكونين مباشرة مثلي؟ لم لا تواجهينني قائلة: "أنا على علاقة بكريم فأرجوك يا سيف لا تحدثني ثانية!" وحينها سأتألم أياما ثم تلتئم جراحي وأنساك... لم تداعبين أوتار قلبي، تغازلينني تحت اسم الصداقة، تعتنين بي كابن صغير لك، تجعلينني أغرق في عشقك يوما بعد يوم وأنت تستمتعين برؤيتي أغرق... أظنك سادية يا ماروشكا! أنت تحبين رؤية الرجال يتألمون من أجلك، يرجون فضلك، يبتغون رضاك، وكلما أطاعك أحدهم أكثر أشبعته سوطا!

ربما أنا مطيع أكثر مما يجب، لقد نفذت لك كل رغباتك... وعاملتك كأميرة... حتى أنني بسطت رسائلي حتى تتمكني من فهمها كما أردت... وما هو جزائي؟ تجاهل! تجاهل يجعلني شبيها بقطعة "قرع" فوق صحن "كسكس" تبعدينني بالملعقة كلما دنوت جنبك!

لقد تذكرت البارحة موقفا حدث معنا جعلني أبتسم لمدة وأكتئب لمدتين يا ماروشكا! لقد تذكرت يوم ذهبنا معا إلى محل بيع سيارات "سوزوكي" وأعجبتك سيارة "ألتو" الجديدة، لقد لاحظت أن النساء العاملات في المحل ينظرن إلينا بفضول فهمست في أذنك أن نلعب دور الزوج الذي يريد أن يشتري لزوجته سيارة، وكم أبدعنا يومها في الدور!

لقد كنت تكلمينني بصوت مرتفع وتقولين لي أنك أعجبت بهذه السيارة وتطلبين مني شراءها لك، وأنا أقول لك أن جميلة مثلك تستحق سيارة أغلى وأرقى، وأن هذه السيارة مجرد خردة بالنسبة لك يا زوجتي الحبيبة!

لقد كتمت الضحكة وأنا أشاهد النسوة ينظرن إليك بحسد، بينما اقتربت منك إحداهن وأخبرتك أنك محظوظة وتمنت لك زواجا سعيدا... لقد خرجنا يومها ونحن نضحك بشدة وأنا أخبرك أن مجعدة شعر مثلك لا تستحق حتى دراجة هوائية!

هل تعيشين لحظات كهذه مع كريم؟ أراهن أنك لا تفعلين؟ لم لا تتركينه من أجلي أو تتركيني من أجله؟ أرجوك اختاري

الآن! فأنا أفضل أن أخسرك الآن على أن أعيش كل يوم خائفا من أن أخسرك!

أريد أن أخبرك كيف قضيت هذا الأسبوع من دونك يا ماروشكا القلب لكنني أظنك الآن في "باب الزوار" منشغلة بتناول الآيس "كريم" مع ذلك الأسمر المغفل...

إلى اللقاء يا ماروشكا... تبا لحياتي!

07 ماي 2017

سيف! أنا منزعجة منك حقا! ما هذا الكلام الذي تقوله؟ لقد قرأت كلتا رسالتيك وأظن أن شيئا ما يزعجك وأنت كعادتك تلقي جام غضبك علي!

أنا أحبك جدا صديقي، ولن أتركك أبد الدهر، فكفاك هواجسا ووساوسا لا أصل لها ولا أساس!

لقد أخبرتك للمرة المائة بأنني منشغلة بتكويني الجامعي، لقد مررت بهذه المرحلة يا سيف وأنت تعرف جيدا أنها كالمتاهة لا يخرج منها إلا الحذق المثابر!

أنا لا ألومك يا سيف، لأنني أعلم أن هواجسك اللا منطقية ما هي إلا نتيجة خوفك من أن تخسرني، وأنا لا أزال أتذكر أنك كرهت صديقة لي لأنني قضيت بضعة ليال في منزلها، والسبب أنك ظننت أنها تود تفريقنا وقد قلت لي ذلك بنفسك... والدليل الذي قدمته على ذلك هو "الإحساس!"، متى كان الإحساس دليلا يا أيها المتشائم؟

قد نفترق في حالة واحدة يا سيف... إن أنت تركتني، لأنني من المستحيل أن أترك نصفي الثاني... حب حياتي... ابني الصغير المدلل!

أنت تعلم أن علاقتي بكريم معقدة بعض الشيء، أنا ملتزمة به يا سيف لكنني لا أحبه أبدا، وقد وعدتك أنني سأخبرك بأي شيء يحدث بيننا، واحزر ماذا، نحن لم نتحدث منذ أشهر، ولم نتناول مثلجات في باب الزوار، ولم ولم ولم... فكفاك خزعبلات أرجوك!

أتعلم ما الذي يحيرني؟ أنت تمتلك عددا كبيرا من الصديقات، وأنا لا أعرف منهن سوى أربعة أو خمسة، ومع ذلك ترفض أن يكون لي صديق!

أنت متناقض جدا يا صديقي! أنت تعرف أنني فتاة متفتحة على هذا العالم الرائع، وأحببتك لأنك متفتح مثلي رغم أن تفتحك أميل إلى الانحراف، فلماذا... لماذا تمنعني من التحدث مع أصدقائي الذكور؟

أتعلم ما أظن يا سيف؟ أظنك متخلفا رجعيا يختفي وراء شعار التفتح! فأنا لم أرَ التفتح سوى في أقوالك بينما أفعالك هي دوما عكس ما تقول!

أنا أحبك يا قُلَيْبي! لكن أمهلني قليلا فقط حتى أرتب أموري مع كريم... لا أريد أن أكون خائنة، أنت تعلم أن ذلك ليس من شيمي!

هيا! أخبرني بالتفاصيل المملة عن أسبوعك الماضي! انتظر قليلا دعني أحزر! أظنك أمضيته في الماروشكا تستمتع بأكل الآيس كريم مع "بابة الزوار"! اعترف! ... اعترف بسرعة يا زير النساء!

08ماي 2017

لقد كان الأسبوع الفارط غريبا يا ماروشكا فقد أمضيت معظمه أبحث عن الدماء في حقل سنابل! لقد أخبرتك أن

المكسيكيين ينوون سلبنا حقلنا... لذلك توجب علي أن أترك عائلتي في "بن عكنون" وأقضي هذا الأسبوع في الحقل وأنا أنتظر رسالة منك قبل أن تأتيني رصاصة من بندقية كارلوس!

لقد افترشت حقل السنابل يا حبيبتي وأنا أحمل مختلف الأحاسيس المتضادة داخل أضلعي...ما أجمل السنابل! ما أوحش المكان! سأفجر القنابل! سأحرق الجنان! اتصلي يا ماروشكا... قبل فوات الأوان!

لقد تأملت الحياة كثيرا هذا الأسبوع يا عزيزتي... سرحت في الخيال... غرقت في الذكريات... توقفت عند محطات حياتي محطة محطة! أدركت من خلالها أن حالة اكتئابي هذه قد تكون حالة مرضية لا علاج لها ومرضا مزمنا لا شفاء منه!

لقد تذكرت يا حياتي أنني وقفت على خشبة المسرح لبضعة مرات في حياتي، ولم أنزل منها إلا والجميع منبهر بمواهبي، الجميع يصفق لي، ويتمنى لي مستقبلا زاهرا... مستقبلا على خشبة الحياة أين عليك أن تنتبهي جيدا يا ماروشكا وإلا حدثت الكارثة!

سأمهلك أياما... رتبي أمورك جيدا... ثم راسليني... أنا أحبك كثيرا يا نصفي... ولا ألومك أبدا... لكنني أظن أنني لن أنشر شيئا مجددا في صفحتك على الفايسبوك لأنني صرت أكره تلك التعليقات المستفزة!

إنهم لا يعرفونني جيدا يا ماروشكا... فهم يظنونني ذلك الفتى الذي ودعوه قبل سِتة أعوام راجين منه أن يعود إليهم سالما... لقد عدت يا حبيبتي... لكنني لم أعد أبدا سالما! لقد تركت لي المكسيك جسدا بروح مختلفة... روح معذبة... روح آثمة... روح ثائرة يا أغلى ما عندي في الوجود!

إنهم لا يعرفونك جيدا يا ماروشكا... فهم يظنونك كإحدى الفتيات اللواتي يعرفونهن، أولئك الفتيات اللواتي تنطبق عليهن قوانين البشرية... أنت لست مثلهن يا حبيبتي... أنت مميزة بحق... ولذلك فسأخبرك بكل شيء رغم أنف الجميع...

أسبوع في حقل سنابل يا ماروشكا القلب... تأكدت فيه مجددا أنني أحبك حبا لا متناهٍ... حبا يكفر بالأوامر والنواهي... حبا يجعلني أصرخ للسماء: كم أحبها يا إلهي!

09 ماي 2017

عزيزي سيف... لا أدري ماذا سأكتب لك، فقد توردت وجنتاي لما قرأت رسالتك وخفق قلبي من أجلك! أنا أستشعر الحزن في كتاباتك... كلماتك قاسية... صلبة... حقيقية... مؤلمة!

أنت لست مجبرا أن تقضي أيامك في حقل سنابل تحت نيران مكسيكيين أوغاد! لما تفعل ذلك يا سيف؟ لما؟ أمن أجل المال وأنت من تملك منه ما يكفيك لتعيش بقية حياتك في رغد؟ أم من أجل القوة وأنت الأسد الذي تملك من الهيبة ما يغنيك عن البحث عنها في مكان آخر؟

أترك تلك الحقول وتعال إلي يا قُلَيْبي... لقد اشتقت إليك كثيرا... تعال وسنذهب معا مجددا إلى ملهى "الكريستال" في فندق "الهيلتون" وسنرقص مجددا على تلك الألحان الإسبانية كما اعتدنا أن نفعل... لطالما أثرنا الجلبة في كل مكان زرناه يا سيف! لا أزال أتذكر يوم كنا في أرضية الرقص نتفنن في صنع حركات عشوائية وتعمدت يومها أن تكون عنيفا معي! لقد همست في أذنك مرارا كلما تقدمت نحوك خطوة أنك تؤذيني، لكنك كنت تتجاهلني

وتقوم بالضغط بقوة أكثر على يدي... لقد أقسمت يومها أنني لن أراقصك ثانية لكنني فعلت!

ربما لا يعرفك الجميع كما أعرفك! أنا متأكدة أن أمك ستكرهني إن أدركت يوما أنني أعرف ابنها أكثر منها... لا أدري لما تخفي عن عائلتك كل تلك الأسرار لكنني قد أفعل المثل لو كنت مكانك، إنه من الصعب أن يفهمك شخص لم يعش ما عشت ولم ير ما رأيت ولم يفعل ما فعلت!

الناس أصناف والعقول أصداف، وكما أن لكل إنسان بصمة تميزه عن خمسة ملايير من أمثاله، فلكل شخص عقل يفكر بطريقة تختلف عن عقل الآخر وهذا ما لا يتقبله الناس لأنهم يريدوننا أن نفكر مثلهم، وأن تكون لنا بصمة مثل بصمتهم ورأي مثل رأيهم وإلا فاللعنة علينا!

أنا أفهم نظرتك يا صديقي، أفهم غرابتك، تطرفك، تمردك! وأحب ذلك فيك، وأحبك كلك! أريدك أن تكون سعيدا وأحزن كثيرا حين أحس أنني جزء من تعاستك!

أنا أحب المختلفين يا سيف، وأحب شجاعتهم في إبداء اختلافهم! لقد كنت أشاهد منذ قليل في قناة "النهار" برنامجا

يتحدث عن الرئيس الفرنسي "مانويل ماكرون" حيث بدا هذا الأخير سعيدا مع زوجته التي تكبره بسنين عديدة! لقد كانت زوجته عجوزا دميمة، بينما هو شاب وسيم في ريعان شبابه! ما أجرأه! إنه يذكرني بك يا سيف، يذكرني بك حينما تقول "لا" بينما الجميع يقول "نعم"! حينما تتكلم وجها لوجه بينما الجميع يتكلم من الخلف! حينما تتجه يمينا وأنت ترى الجميع يتجه شمالا!

أنت شجاع جدا! أريدك أن تكون فخورا بنفسك كما أنا فخورة بك، وأعدك، أعدك يا قُلَيْبِي أنني سأكون لك، لك وحدك، وإلا فالموت الزؤام لي ولأمثالي!

لقد أرسلت لي الآن صديقتي وسام رسالة نصية في "الفايبر"، إنها تريدني أن أذهب إلى بيتها الآن كي نراجع دروسنا، فغدا لدي امتحان صعب في إدارة الأعمال... اعتني بنفسك من أجلي... أحبك!

10 ماي 2017

أريد أن أرسل لك أخبارا مفرحة عزيزتي ماروشكا لكنني لا أملك أيا منها، أنا حزين كما عهدتني، مكتئب لأقصى درجة، حالتي تتجه من السيئ إلى الأسوأ، أظن أنني سأجن يوما ما، لا

أدر ما ينقصني، أظنه أنت... أنت هي الجزء الناقص في نفسيتي... اشتقت إليك كثيرا يا ماروشكا القلب!

ضغوطات العمل تقهرني يا حبيبتي، لا أدرِ إن كانت نفسيتي هشة أم آمالي عطشة... كل ما أعلمه أنني كغريق يتشبث بقشة!

أنا سيء يا حياتي، وأكره كونني سيئا، لكن الدنيا هي من تفرض علي أن أكون كذلك... أن أكون الوغد المنقاد بين زمرة الأوغاد!

أنا متوتر جدا اليوم لذلك قررت أن أمارس الرياضة كي أفرغ بعض الإلكترونات السلبية، لكن ذلك لم ينفع! قمت بأخذ حمام ساخن لعل المياه تأخذ تلك الإلكترونات إلى البالوعة، لكن ذلك لم ينفع! أخذت حاسوبي المحمول وشرعت بكتابة رسالة لك، وهذا يا عزيزتي أيضا لا ينفع!

قد يفقد الإنسان بعض ماله أو شخصا عزيزا عليه فيكتئب أياما أو أشهرا أو أعواما ثم يقوم الزمن بشفائه فيرجع كما كان قبلا... لكن أن يفقد الإنسان لذة الحياة فهذا أمر جلل ورزء عظيم!

لقد فقدت لذة الحياة يا حبيبتي... سيارتي الجديدة التي اشتريتها مركونة منذ أشهر، أنا لا أطيق حتى ركوبها...حاسوبي المحمول الجديد لا أفتحه إلا إن أردت أن أرسل لك رسالة... المدينة التي أعيش فيها، لم أرها منذ أزيد من شهرين لأنني أصبحت لا أطيق أن أرَ أحدا!

أنا في حالة جد متقدمة من التعفن النفسي، أريد أن أبكي فلا أجد دموعا، أريد ضياءً فلا أجد شموعا!

لقد تغيرت عاداتي كثيرا يا ماروشكا القلب، هل تذكرين يوم كنا معا في الجزائر العاصمة نتجاذب أطراف الحديث داخل السيارة وقمت كعادتك بإفساد الأجواء بتشغيلك لأغاني راي، فأعطيتك وقتها الخيار بين أن تغيري هذا النوع من الموسيقى أو أقوم بجرك خارج السيارة من ذلك الشعر المجعّد؟

احزري ماذا؟ أنا أسمع الآن أغاني الراي، لا أدري لما أفعل ذلك، لكنني أصبحت فجأة ممن يسمعون "عومي يا الشيخة عومي" و "تالبوني حبة حبة" و "قصة غرام"!

لقد توقفت عن ممارسة العادات السيئة، وتوقفت عن ممارسة العادات الجيدة، بعبارة أخرى: لقد توقفت!

أنا الآن لا أريد شيئا في الحياة سواك، أريدك بجانبي، لأنني أدري أن تلك الدموع التي أردت أن أذرفها ولم أجدها ستجد طريقها حتما فوق كتفك، على صدرك، في أعماق حضنك يا حبيبة قلبي!

أنا لا أحب يا ماروشكا، لكنني إن فعلت... أحببت بعنف، بقوة، بشراسة، بضراوة، باستماتة لا مثيل لها!

لقد أحببتك يا ماروشكا وليتني لم أفعل! فحبك عذاب يزيد عذابي، هواجس تزيد اكتئابي، هموم تستنزف شبابي!

اعذريني! لقد تحدثت كثيرا عن نفسي، لقد تعمدت فعل ذلك لأنك الشخص الوحيد الذي أفرغ له مكنونات قلبي، حدثيني أنت عن نفسك، كيف هي الجزائر؟ لقد اشتقت إلى شرقها وغربها وشمالها وجنوبها! حينما أعود يا ماروشكتي سنقوم برحلة معا! ما رأيك؟ سآخذك إلى ولاية "أم البواقي" وسنأكل مثلجات عند "السيواني" ما رأيك في هذا يا مجعدة الشعر الدميمة ذات الصوت المزعج التي لا تعرف حتى كيفية سلق بيضة؟

11 ماي 2017

انتظر دقيقة يا سيد سيف! أنا الآن طاهية ماهرة، أنظر إلى الصور التي أرسلتها لك في الفايبر: "بيتزا صغيرة" "كعك غير محروق" "سباغيتي إيطالية"! لذلك أرجو من فخامتكم سحب الجملة الأخيرة من رسالتكم وشكرا!

لقد أخبرتني أنك حينما تعود إلى البلاد ستأخذني إلى أم البواقي، أنا سعيدة جدا بذلك يا عزيزي سيف!

أنت تذهب وحدك إلى باريس، لندن، روما، نيويورك، طوكيو...إلخ، لكنك تقرر أن تأخذ معك ماروشكا المسكينة إلى أم البواقي، وكأنك تخاف عليها من مثلجات جاستن الباردة في محلات برلين فتقرر أخذها إلى مدينة "عين البيضاء" لتأكل مثلجات ساخنة عند "السيواني"!

أظنك تبتسم الآن يا قُلَيْبِي، أجل! ذلك ما أصبو إليه! أريدك أن تبتسم، فابتسامتك الساحرة هي كل ما أحتاج أن أراه، هل فهمت الآن لما أخبرك دائما أن تبتسم في كل صورة "سلفي" ترسلها إلي؟ لأنني أكره أن أراك تعيسا يا سيف!

التعاسة لا تليق بك أبدا، لقد خلقت لتعيش سعيدا، وما الشقاء سوى مرحلة ستمر بحياتك ثم تتلاشى فلا تلقاها مجددا!

أنا مندهشة حقا لأنك أصبحت تسمع أغاني الراي! أظنك عاشقا يا سيف! هيا اعترف ما اسمها! أين تسكن! سوف أقتلها! آه يا أيها الخائن! أتخونني من أجل مكسيكية مجرمة؟ أظنها تستغلك لتساعدها في تمرير الكوكايين إلى الولايات المتحدة الأمريكية! أظنك حين تعود إلى الجزائر فستعود بهيئة عاشق: ثياب رثة، شعر طويل مشعث، وقرص مضغوط يشغل أغاني المرحوم حسني!

أتذكر يوم قمت بالرقص على أغنية "عومي يا الشيخة عومي" وأرسلت لك الفيديو؟ لقد قلت لي يومها أنك أصبحت تحب السباحة وتحب "الشيخة"! لذلك فأظن أنني لن أغار كثيرا من تلك المكسيكية المعوّقة!

أنت حزين يا عزيزي سيف، لذلك فلن أخبرك أنني جد مريضة، وبما أنني أعاني مثلك من رهاب الأطباء، فأنا أقوم الآن بمعالجة نفسي بنفسي، لا تخف علي، لدي أدوية من كل صنف وقد اعتدت أن أعالج نفسي كلما مرضت.

لقد تحصلت على علامات عالية في كل المواد، أرأيت؟ لقد أخبرتك أنني عبقرية فذة! أنت الوحيد الذي تظن أنني غبية!

الخبر الأخير الذي أود اطلاعك عليه هو أنني سأسافر مع أمي هذا الأسبوع إلى مدينة "ليون" أين سألتقي جدتي التي لم أرها لمدة سنوات، وسأكون مشغولة جدا خلال هذه المدة لذلك أرجو أن تتفهم ذلك إن لم أرد على رسائلك.

قُلَيْبِي... سأعطيك سؤالا وأريدك أن تجيب عليه بسرعة: من أناااااااا؟

آه لقد فكرت طويلا حسنا سأخبرك: أنا جميلة الجميلات ذات الشعر الأملس التي تجيد الغناء والرقص وطهو الطعام!

اعلمي يا حبيبتي بأنّي... ولأنّي...

ذو قلب صارخ لا يعرف التأني...

فدعيني أغني... وأمني... وأكني...

حبيبتي بأسماء تحفظها عني...

أنت حبي... ملاكي وفني...

وأنا أسطورة حب لم يعرفها رجل من قبل...

في مثل سني!

30 ماي 2017

تسعة عشر يوما يا سيف ولم تسأل عني! ألم يدر بخلدك أنه قد تم اختطافي من طرف إحدى العصابات الفرنسية؟ أو أن الطائرة قد رمتني لأحد قروش البحر الأبيض المتوسط؟ أو أن قلبي قد توقف عن النبض شوقا وحبا وهياما بك!

آه كم أنت مهمل! لو كنت مكانك لما تركت يوما يمر علي دون أن أخاطب جميلة مثلي! لا بأس أنا أسامحك! هل رأيت؟ قلبي أبيض مثل قلبي!

ماذا سأحكي لك وماذا سأترك؟ لقد قضيت أسبوعين في فرنسا بدل أسبوع واحد لأن جدتي كانت مريضة واستلزم الأمر أن نقضي معها وقتا إضافيا. لقد كنت أتوق إلى محادثتك لكنني ... حسنا كيف ألقي الخبر على مسامعك... لكنني رتبت أموري كما طلبت مني أن أفعل! أجل يا سيف! لقد انفصلت رسميا ونهائيا عن كريم، وقد مضى ولن يعود مجددا، أنا الآن لك، لك وحدك يا حبيب قلبي!

أنا أحبك يا سيف، أحبك ولا أصبر على لقياك! أنت وسيم جدا يا حبيبي، ولا أرَ الوسامة في شاب سواك! أنت رجلي يا سيف، وها هو عشقي أهديه إياك!

أريد أن أقضي سنواتي الباقية معك، معك وحدك، أحرق طعامك وثيابك! أزعجك بثرثرتي اللامتناهية، أرغمك على مساعدتي في طي الثياب وترتيبها في الدولاب!

أنا لست ربة بيت يا قُلَيْبي، ورغم ذلك تحبني! أريد أن نتزوج كي تطهو لي الطعام، وتحضر لي الفطور إلى الفراش (هذا يعني أنه عليك أن تستيقظ باكرا كي تقوم بإعداده)، أريدك أن تساعدني في غسل الثياب والأواني وترتيب البيت... أنا أعلم أنك تحبني وستفعل ذلك عن طيب خاطر!

أنا مجنونة يا حبيبي! نوبات الجنون تنتابني كثيرا ولا أقوى على السيطرة عليها، أريد أن أجري، أن أقفز، أن أصرخ، أن أضحك بجنون! أن أفقد السيطرة على نفسي!

أريد أن نخرج معا بهدوء نحو مطعم هادئ لا ضجة فيه... وفجأة أقوم برشك بالعصير وأهرب بينما تلاحقني أنت والسيدة "انتقام"!

آه يا سيف! أحس بالحياة تسري في عروقي... إنه الحب بالمعنى الفلسفي... وهرمون الأندروفين بالمعنى العلمي... وأنت بالمعنى الماروشكي!

اشتقت إليك اشتياقا قد يقودني إلى السفر إليك إلى المكسيك ومقايضتك بكيس ماريخوانا!

أنا صائمة يا سيف، لا أدري إن كان شهر رمضان معروفا في المكسيك، لكن آمل أن تكون صائما أيضا، دعك منهم، لا تتأثر بهم، فنحن المسلمون نحيي شعائرنا الدينية في الجزائر أو في القطب الجنوبي على حد سواء!

أمي الآن تعد الافطار، بينما أشاهد مسلسلا تركيا دراميا، آه يا سيف! لقد منعتهما أم الفتاة من أن يتزوجا! تبا لها! وتبا لكل من يقف في وجه قلبين تحابا وتآلفا!

أنا سعيدة يا سيف، سعيدة جدا... وأحلم أن أعديك بسعادتي...

هيا أخبرني، ماذا فعلت طيلة هاته الأيام؟ بعبارة أخرى، مع من خنتني؟

01 جوان 2017

أزيد من أسبوعين وأنا أنتظر... أمثالك لا يموتون يا ماروشكا... أمثالك يقتلون فقط... أمثالك وأمثال "المرأة نيكيتا"!

أنا أحاول أن أصف شعوري لك، لكنني لم أتمكن حتى من وصف شعوري لنفسي... سعادة عظمى، صدمة، خوف، توجس، هيام وإلى آخره من الأحاسيس المتضاربة تضارب نفسيتي الهشة!

كل شيء فيّ قوي يا حبيبتي ما عدا نفسيتي! تلك اللعينة التي جعلتني أتعلق بعلامتي تعجب واستفهام، تلك الآثمة التي تحبك صباحا وتمقتك مساء، تحبك حين تبتعدين وتكرهك حين تقتربين!

لقد ظننت أنك يوم تصارحينني بحبك فسوف أطير فرحا، ستتبدد كل هواجسي ومخاوفي وسأسعد إلى الأبد...

لقد ظننت أنك يوم تخبرينني أنك قطعت علاقتك بكريم من أجلي فسيزول عذابي... همي واكتئابي... وسأكتب اسمك بعدها في الصفحة الثانية من كتابي...

أتعلمين بما أحس الآن يا حياتي؟ أحس وكأنني بالونة عيد ميلاد مملوءة بالفراغ... أجل الفراغ يا ماروشكا!

أحس أنني ذلك الفتى الذي كان ينتظر بفارغ الصبر أن يحل النهار كي تمر الحافلة لنقله إلى شاطئ البحر مع زملاء قسمه، لكن النهار حل ولم تمر الحافلة...

أحس أنني تلك الأم التي تنتظر بفارغ الصبر ابنها الجندي كي يأتي إليها في عطلة الصيف لأنها اشتاقت إليه، وبالفعل يأتي لكن في تابوت موصد...

أحس أنني ذلك الشيخ الذي ينتظر بفارغ الصبر رسالة نصية من أحد أولاده، وحين يرن الهاتف لا يجد سوى رسالة نصية من المتعامل "أوريدو" تهنئه فيها بعيد وحيد لعين!

أنا آسف يا ماروشكا... كان يجب علي أن أكون سعيدا... فأنا حقا أملك كل شيء... ولا يعوزني شيء... لكنني لست كذلك... أنا أملكك يا حبيبتي... لكنني لا أضمنك... أنت غريبة الأطوار... وغريبو الأطوار لا تتوقع تصرفاتهم!

أنت رائعة بكل ما للكلمة من معنى، والمشكل في الأمر أنك تعلمين ذلك وتستغلينه لتحققي مآربك، ولست من يحقق مآرب الغير يا حبيبتي.

لقد أخبرني أحد الكهول مساء أمس أنه يسوءه جدا أن يراني أفضل حالا منه حين كان في مثل سني، لقد أخبرني أنه لا يطيق أن يراني وأنه من الواجب علي أن أكون مثله أو أتنحى عن طريقه! لقد عالجت كلامه بطريقة فلسفية ولم أغتظ منه أبدا، بل بقيت أفكر فيما قال وأقارنه بتصرفاتك، أظن أن أحدنا كهل والآخر شاب يا ماروشكتي!

أنا صائم يا حياتي، لكن الصوم في المكسيك أشبه بإضراب عن الطعام، فعملي يقتضي أن لا أصوم على شيء ما عدا الطعام!

آه لو ترين حالة المكسيكيين يا عزيزتي! لقد دمروا شبابهم وهم ينوون تدمير شبابي! يريدونني أن أكون مثلهم بشعر طويل وبشرة سمراء ووشوم عفنة! إنهم يكرهون اختلافي ويعتبرونه اعتراضا! وما ردة فعلي أنا؟ أداريهم... أداريهم وألعب لعبتهم

لأنني أعلم أن المختلف في المكسيك قد يموت في حادث سيارة بقدرة قادر!

آسف إن كنت قد آذيتك يا عزيزتي ماروشكا، لا تأخذي كلامي على محمل الجد... أنا أهذي... أنا مريض... أنا أحبك!

02 جوان 2017

أتعلم بما أحس يا سيف؟ أحس وكأنني البطلة سامر في فيلم "500 يوم من سامر" وهي صاعدة في المصعد...

أحس وكأنني أب ذهب إلى العمل صباحا وفي الطريق اشترى كيلوغراما من التفاح...

أحس وكأنني تلميذة أكلت لمجتها في الوقت المحدد لأكلها!

أتظن أن هاته التشبيهات بلا معنى؟ أجل إنها كذلك! وكذلك كل كلمة في رسالتك يا أيها الأناني!

لقد قلت أنك ستعطيني وقتا لأرتب فيه أموري وقد فعلت، لقد أردتني أن أكون لك وحدك وقد كان لك ما تريد... أم أنك لست ناضجا كفاية لكي تعرف ما تريد!

أنا مستاءة جدا منك يا سيف! مستاءة منك لدرجة أنني بكيت يوما كاملا ولم أرتاح! مستاءة لأنني أعلم أن قلبك قد صار جامدا منذ أن حملت السلاح... مستاءة ولست من تقوى على الصراخ والنواح!

أنا أحبك! أحبك منذ أيام الـ "msn" يوم أرسلت لي "wizz" وقلت لك كفى ستكسر شاشتي! وأجبتني: شاشتك هي الجليد الذي أود كسره كي أقول لك 'أحبك'!

لم أكن أنتظر تلك الإجابة! لطالما عجزت عن توقع إجاباتك وردات أفعالك، فأنت حقا شخص غير عادي، مزيج من الرومانسية والبرود! النضوج والصبيانية! الرقة والعنف!

أنا أحبك! أحبك منذ أول حصة سياقة أعطيتني إياها، يوم انتقدتني بقولك إنني لو قمت بتدوير"قرص الكسرة" كما أقوم بتدوير عجلة القيادة لكانت"كسرتي" لذيذة! لقد تعجبت يومها كيف تمكنت من السخرية من طعامي وطريقة قيادتي في جملة واحدة!

أنا أحبك يا سيف! أحبك منذ اليوم الذي تناولنا فيه شطيرة بيتزا في إحدى المحلات بقسنطينة، وحين أكملنا قلت لي إنك لا تملك المال ثم هربت مسرعا! لقد بقيت يومها جامدة في مكاني

خاصة وأنني لم أمتلك دينارا واحدا في حقيبة يدي! لقد أتى يومها النادل وأخبرني بأنه علي أن أدفع ثمن ما أكلناه، أردت أن أبكي وأنا أخبره أنني لا أملك مالا فانزعج وأخبرني بأنه قد سئم مثل هاته التصرفات وأنه سيتصل فورا بالشرطة! لقد اتصل فعلا وكانت الشرطة التي أتت يومها هي أنت ومقالبك السخيفة!

أنا أحبك منذ اليوم الذي اشتريت لي فيه ذلك الخاتم وأخبرتني أنه علي أن أرتديه وحدي معللا ذلك بأن نسبة جمالي لا تكفي حتى ينحني وسيم مثلك لمجعدة شعر مثلي!

أنا أحبك وأحب طريقة حبك لي، فأرجوك لا تفسد ذلك بهواجسك اللا منطقية!

أنا أعلم سبب اضطرابك يا سيف! إنه العمل! لطالما جعلك عملك مزاجيا في كل تصرفاتك وفي شتى أفعالك!

أنا أؤمن أننا خلقنا لبعضنا يا حبيبي: ماروشكا لسيف وسيف لماروشكا! فلننس الماضي ولنبدأ حاضرا ومستقبلا فيه أنت وأنا ومشاغب صغير مثلك أو ملكة جمال صغيرة مثلي!

بالمناسبة، لقد ذهبت اليوم إلى الجامعة ودرست حصة في اللغة الإنجليزية، أستاذنا شاب في مقتبل العمر، أظنه في مثل

سنك أو أكثر قليلا، لقد أمضى أغلب الوقت وهو يحدق في، كما أنه سألني مرارا أسئلة لا جدوى منها، أظنه يحاول مغازلتي وينوي إغرائي! أتعلم شيئا يا سيف؟ كم أحتقر أساتذة الجامعات الذين يغازلون طالباتهم! أظن أن أستاذ الجامعة لديه مقام كبير وسمعة يجب عليه أن يحفظها لا أن يدنسها بملاحقة مراهقات ككلب متشرد، أغلبهن كن يرينه رجلا ومثالا يحتذى به، لكنه بتصرفاته تلك أصبحن يرينه وغدا غير محترم والمشكل أنه قد يؤثر على سمعة كل زملائه في العمل!

تبا له! إنه لا يستحق حتى الحديث عنه، أنا أحبك يا سيف وأعلم أنك تحبني! كل ما تحتاجه هو ضبط نفسك ومراجعتها، رحلة إلى أوروبا قد تكون فكرة جيدة، ما رأيك يا قليبي؟

04 جوان 2017

القلوب تتطاير مني يا عزيزتي ماروشكا! ماذا فعلت لي؟ أظن أن مفعول رسالتك الأخيرة لازال يسري في دمي إلى حد كتابتي لهاته الأسطر!

هرمون الأندروفين يُضخ بقوة في عروقي يا حبيبتي! أحس بالحياة مجددا! تبا لك ماذا فعلت لي؟ أظن أنك دفعت أموالا لا بأس بها لـ"شعشوع" يا أيتها الساحرة الدميمة!

ربما هي أيضا ذكرياتنا التي استرجعتها بفضلك، أنا حقا متعجب من ذاكرتك القوية التي لو وظفتها في شيء مفيد لأضفت المزيد للحياة البشرية!

أنا أيضا أتذكر يا ماروشكا، أتذكر كل يوم في علاقتنا ولا أكاد أنسى أية لحظة!

أتذكر يوم كان المطر يتساقط غزيرا وقمت بإقناعي بالخروج معك رغم أنك تعلمين أنني قط أكره البلل! لقد قلتِ إن المشي تحت المطر رومنسي، وقد أتيت يومها أحمل مطاريتي وتركتك وحدك 'تترمنسين' يا أيتها الفقمة المحبة للمياه!

أتذكر يوم ذهبنا معا إلى "نادي الصنوبر" ولم تكن علاقتنا يومها تتعدى الصداقة، لقد عرض عليك أحدهم أن تركبي معه في "الجاتسكي" وقد وافقتِ يومها بكل سرور، أنا لم أشعر بالغيرة يومها لكنني أحسست بالاستياء لأن ذلك الوغد أخذ فتاة كانت معي!

لقد أحسست أنت أيضا بعدها بالاستياء حين عرضت عليك أن تعودي إلى المنزل برفقة صديقي أنيس لأنه يمتلك "Ibiza fr"، لا أدري إن كان كلامي قاسيا لكنني أظنك تستحقين ما قلته لك يومها يا عاشقة المحركات!

أتذكر أيضا يوم ركبنا في" التيليفيريك " وسألتك إن كنت تخشين المرتفعات فأجبتني بغطرستك المعتادة أنك لا تخشين شيئا، لقد أخذت أؤلف لك القصص والروايات عن أناس ماتوا وهم يركبونه مغذيا خيالي بمقاطع من أفلام "فاينال ديستينايشن"، لقد كانت المقصورة تتمايل، وأخبرتك أن هذا غير عادي وربما يكون هنالك خلل ما في الكابل! لقد كنت تقولين يومها أن هذا شيء عادي، لكن لون بشرتك وقوة تشبثك بي كانا يقولان عكس ذلك يا أيتها الأرنوبة الخائفة!

أتعلمين شيئا؟ أنا أيضا أحبك يا ماروشكا، أحبك أكثر مما تحبينني، أحب فيك ثقة الذات! أحبك بكل اللغات!

أحب شامات وجهك، ومشيتك المتغطرسة، وعينيك الصغيرتين وصوتك المزعج وكبرياءك الزائد عن الحد!

أحب نعومة بشرتك واستقرار نفسيتك، وقوة عنادك، وكبر قلبك!

أنت امرأة بكل معنى الكلمة يا روحي، امرأة تحترم ذاتها وتفرض بذلك على الجميع أن يحترمها!

أتمنى أن تكوني زوجتي، ليس فقط لأنني أود أن أقضي بقية حياتي معك، بل لأنني أريد أن يتربى أطفالي على يدك، حتى تربيهم كما رباك والداك اللذان أحييهما أيما تحية وأجلهما أيما إجلال!

أنا سعيد يا نصفي! المكسيك مدينة جميلة! الحياة حلوة!

رغم كل ما قلته لك إلا أنك تظلين مجعدة الشعر الدميمة التي لا تجيد حتى سلق بيضة! أم أنني مخطئ يا ماروشكا؟

21 جوان 2017

أنت مخطئ كثيرا يا سيف، أنا أجمل فتاة قد تصادفها في حياتك، أنا أميرة، بل ملكة، أنا ماروشكا جميلة الجميلات!

لقد أردت أن أشاركك في رسالتي هاته بعض الذكريات التي تقاسمناها في سنواتنا الماضية لكن هنالك أمر أخطر أريد

مناقشته معك ... أجل أنت محق في كل ما قلته لي لكنك كعادتك لا تتذكر الكواليس!

لقد عشنا لحظات حب سعيدة معا لكن... هل كنت الوحيدة التي عشتَ معها تلك اللحظات؟

أجبني بصراحة: ألم تعش تلك اللحظات مع ابتسام، ميساء، ليندة، خولة، إيمان ومع كل إنسان آخر كتبت في شهادة ميلاده، الجنس: أنثى؟

هل علي أن أذكرك يوم ذهبنا معا إلى محل "بورا بورا" في "سيدي يحيَ" بالجزائر العاصمة، وحين طلبنا كعكا وعصيرا فاجأتني النادلة بقولها مرحبا بكم مجددا لابد أن المكان قد أعجبكم لدرجة أنكما لم تغيرا حتى الطاولة!

لقد بدا عليك الاضطراب حينها ومرت بضع ثوان ليظهر الاضطراب على النادلة التي استطردت قائلة: آه، آسفة! لقد ظننتكما زوجين آخرين!

أجل يا سيف لقد أخطأت، لقد ظنتني فتاة أخرى، الفتاة التي أتيت معها إلى نفس المحل ونفس المائدة وطلبتما نفس الطعام!

أنا لست غبية كي تحاول استغبائي! لقد كنت تكذب يومها كثيرا وكنت شاردة الأفكار، لكنني لم أحس بالقهر إلا حينما عرفت أن موعدك مع تلك الساقطة كان قبل ستة ساعات فقط من موعدنا!

كيف تجرؤ؟ كيف تجرؤ يا زير النساء أن تضرب موعدين لفتاتين في نفس اليوم وفي نفس المكان!

هي أيام مضت وغفرتها لك! أيام آلمتني فيها لكنني وضعتها في صندوق المهملات، لكن لا تنسى يا سيف! لا تنسى أن المرأة تغفر ولا تنسى، وقد يأتي يوم تتذكر فيه كل شيء فلا تغفر!

لقد أرسلت لك هاته الرسالة لأخبرك عن أمي، لقد أخبرتها عنك كثيرا واسترسلت في الحديث عنك وعن مزاياك، وبما أنها قريبة مني فقد أخبرتها بكل شيء! عن كل شيء يا سيف! لقد استشاطت غضبا و..... وأمرتني أن أقطع علاقتي بك فورا!

لقد بكيت كثيرا وحاولت إخبارها كم أنت رائع! وبأنك جاد معي! لكنها رفضتك رفضا قاطعا وها هي بعض أسباب رفضها:

-عملك في المكسيك قد أزعجها كثيرا، لقد قالت لي إن كل من يعمل في المكسيك مكسيكي، وأنها لن تزوج ابنتها لمكسيكي مهما حصل!

- ضربك لي، وعلى الرغم من أنني أقنعتها أنك فعلت ذلك مرتين فقط، مرة في زرالدة والأخرى في بوسماعيل وأن ضربك لي لم يكن قاسيا، إلا أنها رفضت وقالت لي سيصير الوغد أعنف بعد الزواج!

- أصولك الشاوية يا سيف! أمي قد أخذت درسا قاسيا لما تزوجت رجلا من الشرق وهي لا تريد أن تخطئ ابنتها الصغيرة نفس الخطأ!

هنالك أسباب أخرى متفرقة لكن..... أنا لا أدري ما يتوجب علي فعله، أنا أبكي... أنا حائرة... أريدك إلى جانبي!

أنا أسمع الآن أغنية لـ "أوليفيا" تقول فيها "أنا أكرهك! أنا أحبك! أنا أكره طريقة حبي لك!".

هكذا أحس اتجاهك الآن يا سيف! أنا أحتاجك! أنا أحتاجك! ماذا أفعل يا رب ماذا أفعل!!

25جوان 2017

أظنك تتعمدين فعل ذلك، تعشقين إسدال الليل الحالك... تقسين كلما حنوت، تبتعدين كلما دنوت!

الجو حار جدا يا ماروشكا! الحزن يكسوني والأهل نسوني والنمل يغزوني!

عيد سعيد! وأي سعادة في الغربة؟ لا ذوي إحسان ولا ذوي قربى، الحي فوق القلب والميت تحت التربة!

لقد كنتِ الوحيدة التي تؤنسني في منفاي ولكن... ولكنك الآن مرأى سراب، مدينة خراب، سواد غراب!

أنت الآن لا شيء بالنسبة لي يا ماروشكا، أنت مثل الفتيات اللائي ذكرتيهن، أنتن كلكن متشابهات!

اخترتك أن تكوني زوجتي، لكنني نسيت أنني علي أيضا أن أتزوج أمك وأختك وصديقتك وفلانة التي قالت لك!

أجل أنا مكسيكي! مكسيكي وأفتخر إن سفكت دماء أو سفكت دمائي!

لا يهمني أن تكوني معي بقدر ما يهمني أن تكون شوارع "شيواوا" آمنة، وحقول "كوليما" منتجة وعلم "خاليسكو" يرفرف خفاقا في شوارع "غوادالاخارا"!

أنت محقة يا ماروشكا، أنا عنيف.... هل تريدين سماع شيء جميل بمناسبة عيد الفطر المبارك؟ لقد صرت أعنف مما تتصورين، وقد قمت بالاعتداء اليوم على "أندريك" بدل أن أتمنى له عيد فطر مجيد!

أنا أقوم أحيانا بترديد لفظة "أقتل نفسك بهدوء، أنت تحتاج لأن تقتل نفسك الآن بهدوء" ولكن ليس لي أية نية في فعل ذلك أنا فقط أرتاح حينما أقول ذلك، الوحش داخلي يرتاح حينما يسمع ذلك!

لقد أحببتك كثيرا، والحب سم الخليل، خانق الهديل، كذبة أفريل!

عشقتك والعشق صعب عسير والعاشق مظلوم أسير...

لا أدري لما أستعمل صيغة الماضي وأنا أهواك يا خبيرة التعذيب، يا عديمة الأمان يا خائنة الزمان!

الجو خانق يا ماروشكا، الوحدة قاتلة، سيفك منهزم!

مشاعري جياع، أكاذيبك ضِياع، سقط القناع..... الوداع!

01 جويلية 2017

قلبي يؤلمني بشدة، أظنه يخفق ببطء شديد وكأنه يصارع جاهدا لضخ دم ثقيل في عروق ضيقة ممتدة في جسم سئم الحياة!

أصبحت أراقب طريقة تنفسي أيضا: شهيق ثم زفير، شهيق ثم زفير، لأنني كلما غفلت عن المراقبة وجدت نفسي أختنق لأنني توقفت دون سبب عن التنفس!

حالتي سيئة جدا يا صغيرتي رغم أنني أتظاهر عكس ذلك، لا أريد أن أخبر أحدا بحجم تعاستي فجميعهم يريدني أن أبقى كذلك... أن أعيش كذلك.

لقد قال مرة "دوستويفسكي" أن الإنسان حتى لو كان صديقك الحميم وحتى لو أحبك كثيرا فهو يحس بلذة خفية حين يعرف أنك تعاني، هذا لأن النفس البشرية ترتاح حين تعرف أن هنالك من هو أسوأ منها حالا رغم أنها تحاول أن تبدي غير ذلك فيتصنع الإنسان الحزن لمواساتك!

أنا لا أريد لأحد أن يستمتع بعذابي يا ماروشكا، لكن يجب علي أن أفرغ ما في قلبي حتى أرتاح، ولازلت أختارك أنت لأنك طالما استمتعت بمشاكلي وهمومي، واستلذذت شقائي الدائم لسببين: أولهما لأنك بشرية والثاني لأنك سادية!

لا تردي على رسائلي كما أردت، قد يأتي يوم تنقطع فيه رسائلي، وحينها اعلمي أنني لم أخن العهد، بل خنت الحياة التي خانتني!

أتعلمين ما الذي يؤرقني بعد الموت ماعدا ذنوبي التي لا تعد ولا تحصى؟ إنها أحلامي التي لم أحققها، أحلامي أن أصير شاعرا أو كاتبا أو صحفيا في قناة اخبارية!

نحن نبحث عن وظائف مستقرة لأننا لا نملك الشجاعة الكافية لمطاردة أحلامنا! إياك أن تفعلي ذلك! إياك أن تتخلي عن أحلامك يوما ما لأنك حينما تفعلين ذلك ستبدأ رحلتك نحو الموت بسرعة!

ربما كنت سبب سعادتي الوحيد، لكن تأكدي أنك لست السبب الوحيد لتعاستي، أنا تعيس لأنني ضائع اليوم أكثر من أي وقت مضى!

لقد سئمت من كل ليلة أحتضن فيها وسادتي كطفل صغير خائف وأغمض عيني وأنا أرجو الله أن لا يأتي الصباح، وحين أستيقظ أحتاج وقتا طويلا وشجاعة كبيرة لكي أضع رجلي على الأرض، لأنني أعلم أن يوما سيئا بغيضا سيبدأ تحديدا من تلك اللحظة!

آه لو ترين حالة المكسيكيين الكهول يا ماروشكا! جميعهم إما مرضى بالسكري، أو بارتفاع الضغط، أو لديهم مرض نفسي أو عقلي... لا أريد... لا أريد أن أمرض بمرض مزمن! لا أريد أن أتعذب طفلا وشابا وكهلا وعجوزا... أريد أن أعيش سعيدا ولو بضعة أعوام... ولو بضعة أسابيع.... ولو... ولو بضعة أيام!

لقد كنت أظن قبلا أنني أحبك فقط، أو ربما أعشقك، أو ربما أهيم بك! لكنني عرفت أنني أحتاجك! أنا أحتاجك يا ماروشكا كحاجة مدخن للنيكوتين، كحاجة مدمن للمورفين، بل كحاجة كائن حي للأكسجين!

أرسلي إلي يا حبيبتي، قولي لي أنك تكرهينني، أو أرسلي إلي ولو رسالة فارغة، لربما تعيدني رائحة "نينا ريتشي" يوما ما إلى الحياة!

08 جويلية 2017

لقد قرأت مرة في إحدى الكتب المملة أنه يمكن لشخص سعيد أن يصبح بائسا إن هو صاحب شخصا بائسا، والعكس غير صحيح، وعلل المؤلف ذلك بقوله إن الموجات السلبية تؤثر على الموجات الإيجابية في هالة كل إنسان بينما الإيجابية لا تفعل ذلك إلا نادرا!

أظن أن ذلك يحدث لي اليوم يا سيف، أنا بائسة اليوم أكثر من أي وقت مضى!

لا أظن أن الجزائريين يختلفون كثيرا عن المكسيكيين، فكل رسالة ترسلها إلي أسقطها على واقعي فأجد أن حياتي قريبة كل القرب من حياتك!

لا أدري لما علي أن أرتدي اللباس الذي يريدون، وأتبنى المعتقد الذي يتبنون وأمشي وفق التقاليد والأعراف السخيفة التي يضعون!

الرجال في مجتمعي يا سيف يقدسون كل شيء، يعبدون كل شيء، يفعلون كل شيء، ويمشون بمعتقد "حلال عليا وحرام عليك"!

لا أدري لما ينظر إلي الجيران نظرة وقحة كل مساء حينما أعود من العمل وكأنهم لم يروا فتاة في حياتهم، ورغم أنني أستحي وأخطو سريعا إلى بيتي إلا أن نظراتهم المفترسة المتعطشة المريضة المتخلفة الدنيئة تلاحقني حتى أغلق الباب من خلفي!

لا أدري لما تصر أمي أن أتزوج الرجل الذي تحبه هي وليس الذي أريده أنا، ولا أدري لما يقنعني أبي بأمور أنا متأكدة أنه نفسه ليس مقتنعا بها!

أريد أن أهرب بعيدا يا حبيبي! أريد أن أعيش في الولايات المتحدة الأمريكية أين يمكنني أن أرتدي تنورة قصيرة دون أن يلاحظ أحد أنني فعلت، أن أعبر عن رأيي بصراحة دون خوف، أن أتزوج من أريد، أن أفعل ما أريد، أن أجري، أن أصرخ، أن أعيش حرة وليس أمة بين زمرة من العبيد!

أنا أختنق في هذا العالم المعقد، هذا العالم الذي يحتقر المرأة ويدعي إكرامها، يراها أقل شأنا من الرجل الذي يداري إحساسه بالنقص بإسقاطه على المرأة بحجة "احترامها"!

سأهرب يوما ما من هذا المجتمع البائس وأحلم أن يكون ذلك معك، خذني إلى مكان يُحترم فيه الإنسان بغض النظر عن جنسه، مكان لا يعاني سكانه من اضطرابات نفسية، مكان لا يثير أناسه الاشمئزاز والشفقة!

لربما يأتي يوم أخرج فيه من الجزائر وتخرج فيه من المكسيك ونذهب معا لنعيش في بلاد تحترم سيف... بلاد تحترم ماروشكا!

أنا أعلم أنك بائس يا قُلَيْبي، وأعلم أنني أزيدك بؤسا برسالتي، لكنني في حالة سيئة جدا، وأريد أن أفضفض لك كما اعتدت أن تفضفض لي!

ملاحظة: لقد عطرت الكلمات بتوزيع "نينا ريتشي" على ثلاثة رشات! ها ها!

15 جويلية 2017

لا أظن أنك تدركين كم أنا بائس يا ماروشكا لمجرد أنك اكتأبت مرة واحدة لأن أحد الأوغاد نظر إليك بدناءة هو أدنى منها... وبوضاعة هو أوضع منها!

البؤس عندك هو تلك الحالة النفسية التي تجعل صاحبها يحس بشقائه ويبكي ويندب حظه التعيس...

كلا يا حبيبتي! بؤسي تخطى ذلك! بؤسي يؤلم معدتي ويجعلني أتقيأ جرعة البروتين التي تناولتها قبل ساعة بدل وجبة الغداء التي فقدت الشهية لتناولها...

بؤسي يؤلم رئتي كثيرا ويجعلني أتنفس ببطء وكأنها النهاية...

بؤسي يؤلم عضلاتي ويوهنها ويفقدني تركيزي و... وحياتي!

لقد كنت أتألم نفسيا كثيرا حين يسيء أحدهم معاملتي أو يشتمني على سبيل المثال...

أنا الآن أتألم إن كلمني أحدهم وهو يمضغ الطعام، أتألم إن مر أحدهم بجانبي، أتألم حين أستيقظ صباحا!

لقد اشتقت إليك يا ماروشكا، الحياة في المكسيك من دونك لا معنى لها! أنا لا أجد الآن من أحكي له أسرار المكسيك، أخبار العائلة، حوادث الأصدقاء، أنا لا أجد الآن من يصغي إلي، من

يضحك على نكتي السخيفة والأعجب من الأمر أن نكته السخيفة تضحكني أيضا!

هنالك أمور كثيرة أريد أن أخبرك بها... أحسها تتراكم داخلي... أخاف أن أنفجر!

هنالك مثلا صديقتي الكاتبة، أريد أن أخبرك أنها تستطيع إسعاد نفسها بأن تكذب على نفسها كذبة ثم تصدقها ثم بوووووم! "الحمد لله على نعمة السعادة! أنا أطفو!"، لماذا لا أستطيع فعل ذلك؟ لما لا أستطيع أن أصلي ركعتين أو أقرأ كتاب "لا تحزن" ثم أحدد أهدافا ثم بوووووم أنا أطفو أيضا؟

في الحقيقة، أنا أطفو، لكن في مستنقع التعاسة، فوق سطح الكآبة، نحو علياء الخذلان!

أريد أن أخبرك عن ذلك الشاب الذي قمت بنقله من مدينة إلى أخرى على متن سيارتي "الماروشكا" وفي الطريق طلبت منه أن يحمل تلك الحقيبة الثقيلة ويضعها في الخلف، لقد شاهدته يتألم وهو ينقلها ثم اعتذر مني وهو يريني ذراعه المبتورة حديثا!

لقد أخبرني أن حلم حياته كان العيش في المكسيك والعمل في حماية حقل الذرة، لكن ذراعه المبتورة حالت دون تحقيق حلمه.

لقد تحسست حنجرتي السليمة وأنا أتساءل: "ما الذي منعني من تحقيق حلمي؟".

أريد أن أخبرك عن الفتاة "التبسية" التي تعرفت عليها، عن المكسيكي الذي جرح جرحا بليغا ونقلته ليلا إلى المستشفى، عن عمي الذي تبنى فتاة صغيرة وجهها كالقمر...

لقد اشتقت إليك يا ماروشكا، فهل اشتقت إلي أيضا؟

03 أوت 2017

نعم، لقد اشتقت إليك يا سيف، لطالما فعلت ذلك وعبرت عن اشتياقي بالأفعال لا بالأقوال. أنت مهذب يا سيف، مرح، وسيم محبوب لكن لا يؤتمن لك جانب.

أنت كالطفل الصغير تلح كثيرا لتأخذ ما تريد وحين تأخذه تذهب سعيدا ناسياً حتى شكر من أعطاك إياه!

سعيدة أنا بأخبارك، وبكل ما تفعله من أجل مساعدة الناس، لكن لماذا؟ لماذا لا ترضى عن نفسك أبدا وكأنك خلقت لتعذبها، لتلومها، لتقتلها!

قليلون هم من يملكون أخلاقك يا سيف، الأغلبية سخيفون، رعاع، لا يملكون ذوقا، ولا يحسنون الكلام ولا يعرفون الآداب.

لقد رأيتك مرارا تتوقف عن مناقشة أحدهم لأنه تكلم بوضاعة، وتنهض متحججا بفقدان الشهية حين تجالس من لا يحترم آداب الطعام، وتنام في العراء حين تعلم أن عديمي الأذواق ينامون في فندق الخمسة نجوم!

لقد ولدت يا سيف في زمن غير زمانك، وفي مكان غير مكانك، وأعطيت خلانا غير خلانك، فكيف تظن أنك ستدرك يوما ما يمينك من شمالك؟!

أنا أيضا أحس بما تحس، لكنك أسوء مني حالا لأنك اخترت المكسيك ملاذا، ألم تدرك أنك قد هربت من النار إلى الجحيم؟

هنالك في المكسيك أناس أرذل، أقبح، أدنى مرتبة وأخلاقا، أناس ليسوا من طينتك، لا يحتملون كبرياءك، لا يحترمون حتى أنفسهم فكيف يحترمونك؟

تبا للمكسيكيين لم أرسل لك لأحدثك عنهم، وأرجوك لا تحدثني عنهم، أريد أن أحدثك عني، عنك، عن مستقبلنا الذي لن يكون!

أمي ترفضك رفضا قاطعا يا سيف، هي تقول دائما أنني أستحق أفضل منك، لا أظن أنني سأجد أفضل منك، ولا أظن أنني سأجد مثلك أبدا!

ربما حان الأوان لنفترق يا حبيبي، عذاب الفراق أهون من عذاب العيش معا ونحن لن نكون كذلك للأبد، أنا آسفة جدا، آسفة جدا يا قُلَيْبِي!

هذا كل ما أريد أن أقوله لك... أقصد أن هذا تقريبا كل شيء...

هنالك شيء آخر فقط... آمل أن تفهمني جيدا... هو بخصوص كريم، إنه يزعجني دائما باتصالات من رقم مجهول لذلك سأغير رقم هاتفي وكذا حسابي على الفايسبوك...

أمي أيضا تزعجني بخصوصه، إنها تريدني أن أكون معه، فهي تقول: إن من يمتلك يختا يستحق أن يمتلك ابنتها، ربما هي لا تعرفني جيدا، أنا لا يمتلكني أحد يا سيف، لا أحد!

أعلم أنني سبب اكتآبك يا قُلَيْبي، لكنني أقولها لك دون أمل: أرجوك لا تكتئب!

12 أوت 2017

بضعة أيام مرت... وأنا أقرأ ما كتبت لي بفم مفتوح وعين دامعة وقلب متألم، وصرخة: أين العهد وأين ما عاهدتني؟

أنا أحس بالألم الآن يا ماروشكا، لكنه ليس نفس الألم الذي أحسست به حينما قرأت رسالتك للمرة الأولى، فقد التقيت يومها في محطة البنزين شابا رائعا يدعى "فيرناندو" أعطاني حبة ملونة بالأصفر والأبيض مكتوب عليها الرقم 300 خففت ألمي كثيرا، وقد أعطاني الأولى مجانا ومنذ ذلك الوقت وأنا أشتريها من عنده ب 80 بيزو مكسيكي أي ما يعادل 500 دينار جزائري للحبة الواحدة.

لا أظنك من النوع الذي يخاف أمه يا ماروشكا، أنت لا تخافين أمك ولا أباك ولا تخافينني، وإن كان ما يختلج في صدري صحيحا، فأنت لا تخافين الله أيضا!

لقد انتشرت هاته الأيام لعبة تدعى "مريم"، إنها عبارة عن فتاة تسألك أن تريها منزلها لأنها ضائعة وحين تساعدينها تدخلك إلى منزلها وتسجنك فيه، لقد كرهت هاته اللعبة لأنها تذكرني بك، أنت من سجنتني وهربت مع صاحب اليخت!

تبا لي يا ماروشكا لأنني وثقت بك، لطالما كنت اللعبة التي تعشقين لعبها، فأنت تحبين لعبة "سيف"، ذلك الساذج الذي تقنعينه أن يراسلك عن طريق البريد العادي في زمن التكنولوجيا لأنك ترين ذلك كلاسيكيا ورومنسيا! لأنك تحبين ذلك! هههههه بل تحبين اليخوت الباهظة الثمن، أنت تحبين فنادق الخمسة نجوم، أنت تحبين المادة يا أيتها الخائنة! أنت تحبين كريم!

تبا! أنا أحس بحرقة وتنمل في كافة أنحاء جسمي، سأتناول حبة أخرى... بل حبتين، وسأنساك... سأنساك يا أيتها الخائنة حتى لو تطلب الأمر أن أقتلك أو أقتل نفسي!

تبا لك! كيف تتركين روحا من أجل قصدير؟ كيف تتركين شاعرا من أجل وغد؟ "إنها أمي التي تجبرني على الارتباط بكريم"، أنا لست ساذجا! وقد عرفت قبلك عشرات الفتيات.... تبا لهن وتبا لك!

لطالما أحسست بأن شيئا ما على غير ما يرام وكذبت على نفسي، كذبت على نفسي لأنني أحبك، لأنني أعشقك، لأنني أهيم بك، والحب يعمي العين حقا! أنا الآن أرى.. بل كيف لم أر هذا قبلا؟ كيف يمكن لفتاة أن تكون رائعة إلى هاته الدرجة؟ شكرا لك يا فيرناندو... تبا لك يا ماروشكا!

ربما ليست المكسيك بنفس السوء الذي أظنه، ربما ليست سيئة سوء أكاذيبك ووعودك الزائفة، أنت مثل معظم الفتيات تبحثين عن رجلين: زوج وزوج احتياطي!

لطالما كنت زوجك الاحتياطي يا ماروشكا! ولابد أنك عرفت الآن أنك لا تحتاجينه لأنك ضمنتِ الأول، لذلك سترمين الثاني كي لا يبق خطرا عليك يا أيتها المتلاعبة بالرجال!

أنا في سيارتي الآن، تبا لها سأبيعها بثمن بخس لأنها تحمل اسم من باعتني بنفس الثمن، لكنني لن أفعل ذلك الآن لأنني أحتاج

أن أسمع أغنية "باناما" للمغني "لالجيرينو" وهو يقول: "إنها تلعب دور الفتاة الوديعة لكنها في الواقع شيطانة حقيقية!".

احرقي رسالتي حين تصلك وأذبحي الحمامة الزاجلة ثم افعلي أحد الفعلين لنفسك لأنني سأفعل كليهما حينما أعود إلى الجزائر!

تبا لك... سأذهب إلى محطة البنزين!

29 أوت 2017

هذا هو العنف الذي طالما حدثتك عنه يا سيف، أخبرك أن أمي تقف ضد ارتباطنا وبدل أن تجد حلا أو تقف بجانبي تخبرني أنني خائنة وتشتمني وتهددني بالقتل!

أنت لم تقف بجانبي أبدا طيلة فترة ارتباطنا، وكلما واجهتنا عقبة ذهبت وتركتني أجتازها وحدي رغم أنك السبب الرئيسي في كل تلك العقبات!

أتذكر يوم اتصلت بي وقام أخي بالرد عليك؟ لقد قام بتحطيم هاتفي وضربني ضربا مبرحا، لم أفكر يومها في شيء سواك، أردت أن أتصل بك، أن أشكو لك هذا المجتمع البائس الذي

يضرب فيه الوالد ابنته والأخ أخته بمجرد أن شخصا ما اتصل بها عن طريق الهاتف، وكيف كانت ردة فعلك؟ هيا تكلم! أجبني يا شجاع! لقد اتصلت بك من هاتف أختي فشتمتني وأخبرتني أنني كاذبة وأن هاته القصة من نسج خيالي، ثم صرخت في أن لا تتصلي بي مجددا وأغلقت الخط في وجهي!

لقد صعقت يومها يا سيف... أحسست بالسماء اسودت في وجهي، أحسست بالقهر بقافه وهائه ورائه، أحسست بأن الإنسان الوحيد الذي لن يكون ضدي قد خانني، أحسست أنني خنت نفسي، وماذا فعلت؟ بكيت أياما ثم نسيت كل شيء عندما تلقيت أول اتصال منك.

قد يجف حبري وينفذ ورقي إن أنا حكيت لك كل المواقف التي احتجتك فيها ولم تكن بجانبي لكنني لن أفعل لأن هذا ليس موضوعنا الآن، موضوعنا هو تلك المخدرات اللعينة التي تتعاطاها وتصرح بذلك بكل وقاحة!!

أنا غاضبة منك جدا! أنت تعلم أنني لا أريدك أن تكون مدمنا، فرجل بمستواك لا تليق به صفة "الإدمان" المرتبطة بالمجرمين والسفلة!

أنت تحكي الكثير من الحقائق يا سيف، لكن حقائقك معدلة بأكاذيب بارعة، أكاذيب يصدقها الجميع ماعدا ماروشكتك التي تعرفك كما تعرف أنت نفسك...

لما تخبرني أن عامل محطة البنزين هو من عرض عليك المخدرات بينما أنا متأكدة أنك أنت من بحثت عنه وطلبتها منه؟ وإن كان قد باعها لك صدفة، فكيف عرفت عند اللقاء الأول أن اسمه فيرناندو؟ لا أحتاج أن أخوض في هذا المجال حتى أعرف أن بائعي المهلوسات لا يكشفون عن أسمائهم إلا بعد أن يثقوا ثقة تامة بـ "الزبون"!

أرجوك يا سيف لا تستغبني مجددا، وبخصوص كريم لقد أخبرتك مرارا أنها أمي من تجبرني على الارتباط به وهذا غير مهم لأنه أنت من أحب وليس هو، رغم أن "هو" يعتني بي أفضل من "أنت"!

بخصوص تهديداتك سأغني لك أغنيتك المفضلة بعنوان: "سيف لا يفعل شيئا" وستسعد كثيرا حين تسمعها لأنك تحب صوتي الجميل وحبال صوتي النادرة!

ختاما، أنا جميلة الجميلات، أنا ماروشكا القلب، وأنا أيضا أحبك!

هيا أيتها الحمامة الزاجلة! إلى المكسيييييييك!

الفصل الثاني:

المكسيك

ما هذا الطعم في لساني؟

وأنا "الطعم" في كياني!

لا يمكنني أن أبرح مكاني... ولا أن أصبغ أيامي بذوق ألواني...

جربت كتابة الشعر والأغاني...

إغماض العين وإفصاح المعاني...

لكن الرّب كساني... وأمرني أن أبقى في كسوتي...

وأشد عليها بأسناني!

ستة وثلاثون رسالة لعينة تقبع داخل درج مكتبي، هذا المكتب العتيق الذي لازال يفوح برائحة الدم رغم أنني غسلته مرات عديدة، إلا أن تلك الرائحة المخيفة أبت إلا أن تتخذ من فراغات الخشب المهترئ موطنا لها، أو ربما يخيل إلي فقط أنني أشتمّها لكثرة ما أرهقتني هاته الرائحة الخبيثة في السنوات التي أمضيتها في المكسيك!

الرسائل أيضا مهترئة، فيها بقع دم كثيرة، وبقع أخرى أظنها دموعا... دموع سيف... أو دموعي وأنا أقرأ هاته الرسائل التي تذكرني بصديقي في الكفاح وقائدي وقدوتي، وتذكرني بكل التفاصيل التي عشناها معا، وتذكرني يوم انتشلت هاته الرسائل من جيب بذلته في ذلك اليوم المشؤوم!

لقد كان الجميع يحتفظون برسائل عائلاتهم وزوجاتهم ويقرؤونها كلما عانقتهم الوحدة، كان كل واحد فينا يحكي عن زوجته وكأنها أجمل نساء العالم، وعن ابنه وكأنه المهدي المنتظر، وعن أمه وكأنها أحن أم في العالم، لكن سيف كان مختلفا عنا، كان يبدو أنه لا يمتلك عائلة، فقد أمضيت معه سِتة سنوات لم أره فيها يرسل أو يتلقى أي رسالة من عائلته، لقد كان يكلم فتاة واحدة فقط تدعى "ماروشكا" ولم يكن يكلمنا عنها،

بعبارة أخرى لم يكن يكلمنا كثيرا سوى فيما يخص العمل، أما وقت الفراغ فيقضيه في كتابة رسالة لها، أو قراءة رسالة منها.

كان كلما أرسل لها رسالة احتفظ بنسخة منها، لم يترك لأحد الفرصة كي يفهمه، هذا لأنه كان يظن أن تلك الفتاة هي الوحيدة التي تفعل.

لطالما حاولت أن أخبره أن أغلب النساء متساويات، معظمهن غبيات، والذكيات منهن هن من يتقنّ فنّ تمثيل دور الذكية.

لطالما أردته أن يفهم أن ماروشكا هاته مجرد فتاة عادية، حبه لها هو من ضخمها وجعلها بالنسبة له " الفتاة المثالية "!

ـ "ليست هنالك فتاة مثالية"، قلت له مرة. أجابني:

ـ "لأنك لا تعرف ماروشكا!"

أنا لا أعرف ماروشكا، لكنني أعرف ماروشكات! أمثالها هن من يوهمنك بالحب كي يسلبنك أعز ما تملك، من يرتبطن بعظيم كي يقال عنهن "زوجة فلان"، من يستعملن سلاح الجمال الجسدي للفتك برجال يعانون من تصحر عاطفي!

لازلت أحتفظ برسائل سيف وماروشكا، ولا أدري لحد الساعة ماذا أفعل بها! هل أحرقها وأنسى أنني قرأتها؟ أم أنشرها في كتاب كي يأخذ كل قارئ العبرة منها؟ كل ما أعرفه الآن هو أن صديقي سيف قد اندثر، والسبب الأول لاندثاره هو فتاة ليست خارقة... فتاة عادية... بل فتاة أدنى من العادية، فتاة تشبه بعض فتيات الإقامة الجامعية، فتيات التسكع في "لاسيتي"، فتيات "اتصل بي" وفتيات "خطبني قبطان طائرة ولم أقبل!".

صديقي سيف رجل عديم الحظ، متعكر المزاج، ميت حي. لقد كان يظن أن ماروشكا هي من تحبيه بينما كانت هي من تميته، لقد كان يموت تدريجيا دون أن يدري، كنت أحسه يضيع بين أيدينا يوما بعد يوم ولم أحرك ساكنا، كانت السافلة تتلاعب به تلاعب الريح بالأوراق، تسكنه كسرطان في الأعماق، تحبه مثل أي كذبة وخديعة ونفاق!

ـ "سيف! أنا أكلمك أنظر إلي!".

ـ "ماذا تريد يا أيها المكسيكي! دعني وشأني!".

ـ "ألن تنساها؟ هي لا تستحقك يا صديقي، هيا ابتسم أرجوك! أخرج من قوقعتك، من اكتئابك! آه يا إلهي! حالتك

مزرية حقا يا صديقي! لقد أخبرتك منذ البداية، نصحتك لكنك لم تسمع كلامي، لطالما قلت لك أن أغلب الفتيات مذهلات في البدايات، خاصة الجميلات منهن، يتزين بثوب العفة أمامك، يسمعنك اقتباسات من كتب "دايل كارنيجي"، يخبرنك أنك الدنيا بالنسبة لهن! فإن كانت عذرية قلبك لم تمس فستحس بالرجولة معهن، سيحسسنك بتلك الرجولة، ستعيش سعيدا إلى أن تكتشف أنهن يملكن وجها آخر، ويتعاملن معاملة أخرى مع حبيبهن الثاني الذي يسيء معاملتهن وينادينهن "شواطئ!"".

لازلت أتذكر النظرة الحادة التي رمقني بها حينما قمت بالمقارنة بين ماروشكا وهؤلاء الفتيات، استشاط غاضبا وزمجر قائلا:

ـ "لما لا تفهم يا عبد الجليل! أنا أحبها! أحبها بعيوبها، بآثامها، بخطاياها! خانتني؟ ربما بسببي، ربما أنا المذنب، أنا من قصرت في حقها ولم أعاملها كما يجب، تبا لي! لما كنت أصرخ في وجهها؟ ليتني لم أفعل! ماروشكا خلقت لتعامل كملكة لكنني لم أعاملها كذلك! أجل! أنا سيئ يا عبد الجليل! فلأذهب إلى الجحيم، هي تستحق شابا أفضل مني! شابا يمتلك سيارة فاخرة، يهبها قصرا يليق بها، يعطيها حليا لها الشرف أن تُلبَسَ من طرفها! لقد

خانتني لأنني لم أكن جيدا بما يكفي وليست لأنها خائنة! ماروشكا لا تخون! أنا الذي عجزت أن أوفر لها الحياة التي تريدها، أرادت أن تعيش في روسيا وأنا أعمل في المكسيك، أرادت أن تبيت في الدفء وأنا أقضي ليالي في البرد، أرادت العيش في أمان وأنا وكيل في تجارة الخوف!

نحن نظن أحيانا أن الطرف الثاني قد خاننا ونلومه، لأننا أنانيون نعشق أنفسنا ونأبى تأنيبها، ولو فكرنا قليلا فقط لعرفنا أننا نحن من دفعناه لخيانتنا بأفعالنا المخيبة للآمال!

أنا أتعاطى المخدرات يا عبد الجليل! وماروشكا لا تحب المدمنين، هي تأكل "السنيكرز" حين تحزن، أنا آكل "ليريكا"، هي تتذوق رقائق "شيبس"، أنا أتذوق حبوب "إيكستا"، هي تحتسي مشروب "نقاوس"، أنا أحتسي قطرات "ريفوتريل"!

هل تظن أن ماروشكا "شاطئ"؟ احزر ماذا إذن؟ أنا أحب الشواطئ! ولا أجد سعادتي إلا بالاسترخاء على رملهن والسباحة في بحرهن!

هل فهمت الآن يا عبد الجليل أنني مختلف عنكم؟ مجنون غريب الطباع؟ متوحد مريض نفسي مخبول؟ اغرب عن وجهي إذن!".

لطالما عمدت الفتيات في بلادي إلى استعمال السحر لجذب شخص لهن والتحكم به على حسب أهوائهن وضمن شروطهن، والطريقة الشائعة لفعل ذلك هي بوضع "قفل" في صورته وكتابة بعض المعوذات والطلاسم عليها ودفنها في إحدى المقابر البعيدة!

أظن أن صورة صديقي سيف مدفونة في "جبانة ليهود"، لأن حبا مثل هذا يضعني أمام علامة استفهام بحجم حوت أبيض شرس، كيف يمكن لرجل بحق الجحيم أن يحب من خانته ويغفر لها خيانتها وفوق كل هذا يلقي اللوم على نفسه أنه هو من عاملها معاملة لا تليق بمستواها! إن المرأة إن كانت ابنة أصل وأحبت شخصا ما فإنها لن تخونه حتى ولو أهانها أو أنقص من قيمتها أو ضربها مثلا، بل ستختار إحدى الطريقين: إما أن تغفر له وتحاول تغييره نحو الأحسن، أو تنفصل عنه نهائيا! الخيانة ليست خيارا لدى الشريفات، هي خيار فقط لعديمات التربية... لمن انشغل أبواها عنها بجمع المال الحرام وتركاها للشارع كي يربيها، لفتيات "الجوهرة" و "مرجاجو"، لمن ترسل طفلا صغيرا

كي يشتري لها علبة سجائر "مالبورو لايت" من إحدى محلات بيع التبغ، لمن تعرف ماركات وموديلات السيارات أفضل مني ومنك، لمن تتفوق على نظام GPS في تحديد المواقع والأماكن والطرق والمسالك والمحلات!

أنا لست حزينا لأن سيف قد عشق فتاة من هذا النوع بقدر حزني على أن فتاة بهذا المستوى قد اختارت رجلا عظيما مثله لكي تنسج حبالها عليه! لماذا يا ماروشكا! لماذا لم تختارِ شابا من أولئك الشبان الذين يركبون سيارات آبائهم الفارهة ويلاحقون أمثالك أمام حافلات النقل الجامعي وأمام مدخل الجامعة طمعا في نهش جسدكن ورميكن كإناث كلاب لا غير؟

لماذا لم تختارِ أولئك الذكور الذين يلبسون سراويل ضيقة ويطوونها من الأسفل ويقومون بتصفيف شعرهن آاا.... أقصد شعرهم تصفيفات لطيفة؟

لماذا لم تختارِ ذلك الذي تجاوز عتبة العشرين من العمر ولازال يصرخ في وجه أمه لكي تعطيه نقودا؟ ذلك الذي ينام في سريره كل ليلة ولا يحمد الله لأن غيره ينام في البرد؟ ذلك الذي

يدعي الرجولة صباحا وينتظر أخته مساءً كي تعطيه "المصروف"؟

هؤلاء هم من يليقون بك يا خائنة وليس سيف!

آه لسخرية القدر! لقد تلاعبتِ يا ماروشكا برجل يعيش في المكسيك أين لا يعيش الجبان... رجل ينام ويستيقظ ويقضي أيامه في الميدان... رجل يشعل النار دون ولاعة بالقصب والحشيش والعيدان!

لقد خنتِ رجلا جعلنا في المكسيك إخوة ووحدنا رغم ما كان بيننا من خلاف واختلاف... رجلا كان قوتنا عند الضعف وشجاعتنا حينما نخاف!

لقد قتلتِ رجلا يعطيك ذخيرته حين يمطر الرصاص، يهبك سيارته ولا يهمه إن ركب الباص، رجل إن عزم أمرا.... نفذه لا مناص!

أين هو العدل يا إلهي؟ ما بال قلوبنا تميل لمن يعذبها؟ لما نهتم ولا يُهتم بنا؟ لما نحب من لا يستحق ولا نستحق من نحب؟ لماذا لا نموت قبل أن تتحطم قلوبنا؟ أجبني يا إلهي! لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟!

ـ "أريد أن أقتل نفسي!".

ـ "لما تقول ذلك دائما يا سيف! أنت لا تستحق سوى الحياة، حياة سعيدة، حياة مشرقة، حياة هنيئة مع فتاة سأختارها لك أنا حينما نعود إلى الجزائر".

ـ "لكنني أحتاج أن أموت يا عبد الجليل، لا أستطيع العيش بكل هاته الأحاسيس يا أخي، أنا أحس بكل شيء وأتأثر بكل شيء وأتألم لكل شيء وهذا أمر لا أطيقه بتاتا، لماذا خلق الله البشر بخمسة حواس بينما خلقني أنا بمائة حاسة؟ جسمي لا يتحمل ذلك يا صديقي! قلبي لا يفعل!".

لم أكن أستوعب كثيرا ما كان سيف يخبرني به إلا بعد تلك المأساة! وكيف لي أن أستوعب أنه حساس وهو من كان يفتك بالمكسيكيين المجرمين فتكا لا رحمة فيه ولا شفقة تذكر؟

لا زلت أتذكر يوم حاصرنا أحد المجرمين في إحدى غابات جبال "سييرا"، قمنا بتطويقه وتكثيف النيران عليه إلى أن أخذ في الصراخ "الأمان، الأمان!، أنا أسلم نفسي!" انشرحت صدورنا وتوقفنا عن الرمي ماعدا سيف الذي صرخ فينا: "لم أعطكم الأمر بإيقاف النيران! أقتلوا اللعين!".

ـ "ولكنه سلّم نفسه!" قال أحد المكسيكيين.

ـ "لو أراد تسليم نفسه لفعل ذلك قبلا! اقتلوا الوغد فورا دون نقاش!".

لم يعط للرجل فرصة للحياة، هذا ما كان يميز سيف، فهو رجل لا يعطي الفرص الثانية لعدوه، كما كان الحال بالنسبة لهذا المجرم، فقد أفرغ في صدره عشرين طلقة بدم ثائر! بدم ساخن! بدم يغلي غليانا!

لقد كان لا يهاب رؤية الدم أو الجثث وكان مستعدا دوما للقتل، سألته مرة إن كان متعودا على ذلك فأجاب بالنفي.

ـ "ولما لا ترتبك إذا؟" سألته من شدة فضولي.

ـ "ولما الارتباك؟ أنا أحب الدم يا عبد الجليل وأعشق مذاقه المالح، أحب رائحته حين يسيل من عدوي وأكرهها حين يسيل من أحد أطفالي! هذا عملنا يا عبد الجليل، لما أنت مستغرب؟ هل يكره الميكانيكي رائحة زيت المحرك؟ هل يكره البناء رائحة الإسمنت؟ هل يكره النجار رائحة الخشب؟ أراهن أنهم لا يفعلون! المكسيكي يحب طعم الدماء! يعشق رائحة البارود! يهيم بلحن الرصاص الهادر! لا أظنك مكسيكيا يا عبد الجليل! ما بال شعرك

أملس؟ هل تضع الكيراتين؟ خدودك متوردة أظنك "أنوشا"، لما تتكلم بلطف هل أنت فتاة؟!".

هكذا كان سيف، متشبع بتصرفات الشهامة والرجولة، متيّم بصفات الاستماتة والفحولة، يرى كل تصرف لطيف أنوثة، وكل عمل قاس رجولة، هذا كان سيف ... أو على الأقل هكذا كنت أظنه قبل أن أعرفه جيدا، قبل أن أعرف أن له قلبا أكبر من قلوبنا، لكنه يخفي ولا يظهر شيئا، لقد كان يتصنع القساوة، أجل هذا هو المصطلح! كان يتصنعها، كان يلعب دور قاسي القلب كي يصير قاسيا، لكنه لم يتمكن من فعل ذلك لأن الله إن خلقك على طينة فافعل ما شئت لتغييرها وادعي ذلك أمام جميع الناس، واقنع نفسك بذلك كل يوم، لكنك حين تذهب لتنام وتضع رأسك على تلك الوسادة اللعينة فستأتي طينتك الأولى التي جبلت عليها وتستحوذ عليك لتخبرك مالا تريد سماعه: أنت لم تتغير! أنت لن تتغير! أنت هو أنت فاستسلم يا أيها الوغد!

كانت الحياة قاسية جدا في المكسيك، كنا نعيش في جبل تحيط به جبال، كنا نعيش في البرد، في الخوف، في العزلة، في الغربة التي جعلت آباءنا يفقدون شوقهم لرؤيتنا، لقد اعتادوا غيابنا، فنحن لا نتصل بهم لسبب وجيه جدا، وهو أنه لا يوجد

تغطية في جبال "سييرا"، أي أن هواتفنا كانت عبارة عن قطع بلاستيكية نضعها في حقائبنا أملا في أن نجد تغطية في إحدى الأماكن التي تبعد عنا أكثر من عشرين كيلومترا.

كنا نتعرض للخيانة من طرف عشيقاتنا، ففتيات اليوم ليسوا كفتيات أمس، فتيات اليوم لا يطقن حبيبا غائبا ولا يصبرن عليه، فقد تغيب عن صديقتك شهرا أو شهرين فتصبر في المرة الأولى، لكنها سرعان ما ينفذ صبرها حينما ترى صديقاتها يتواعدن مع عشاقهن كل يوم في الجامعة بينما تبقى هي وحيدة تتناول الـ"شيبس" وتتصل بك لتستأنس بالحديث معك لكنها تجد هاتفك مغلقا فتخبرها صديقتها "شعشبونة" أنه لابد وأنك أغلقته عمدا لأنك الآن تواعد إحدى المكسيكيات، وأن المكسيكيين مخادعون ولديهم أكثر من عشيقة وإلى آخر تلك الوساوس التي تجعل صديقتك تتعرف بابن خال "شعشبونة" على أساس الصداقة، وهنا تبدأ الحلقة الأولى من مسلسل خيانتها لك!

أنا حقا لا ألوم عشيقاتنا بل أتفهم خياناتهن من وجهة النظر الأنثوية، أنا مثلا لو كنت فتاة فمن المحال أن أصدق أن هنالك رجالا يعملون ليلا نهارا في مناطق معزولة، وليس لديهم لا الوقت ولا الطاقة ولا الوسيلة كي يتصلوا بأقربائهم وأحبائهم

وذويهم! لا يمكنك تصديق ذلك إلا إن عشت في المكسيك، نحن عشنا في المكسيك وبالكاد كنا نصدق ذلك!

لو كنت فتاة فمن المحال أن أصدق ذلك أو أصبر عليه، لأن تصديق رجل والصبر عليه لا تقوى عليه "فتاة"، إنه أمر لا تتعايش معه سوى "امرأة"، امرأة تعرف معنى معاناة الرجل، امرأة تحس برجلها وتتألم لألمه وتدعو الله أن يرجع إليها سالما!

كانت الحياة في المكسيك قاسية جدا، وكان أقسى شيء فيها هو الوحدة، أجل لقد كنا نشعر بالوحدة! الوحدة قاتلة جدا! الوحدة تجعلنا ضعفاء! الوحدة تجعلنا نتعلق بسرعة، تؤثر على شخصيتنا، تجعلنا غريبي الأطوار، تدمرنا، تقودنا إلى اليأس، تبعد النوم عن أجسادنا، تفقدنا الثقة بأنفسنا، تجعلنا وحوشا، تمرض نفسيتنا، تتركنا أشباحا... الوحدة تقتلنا أكثر من رصاص المكسيكيين، الوحدة تنحرف بنا عن الطريق السوي أكثر من المخدرات والأفلام الإباحية، الوحدة هي من صنعت المكسيك، هي من قتلت سيف بالتواطؤ مع ماروشكا، هي من جعلتني أكتب هاته الجمل الغريبة!

سيف كان وحيدا، كنت أرى ذلك فيه من خلال نظراته الشاردة، كنت أحسه دائما يلجأ إلى الوحدة وكأنها ملاذه الأخير، فحتى حينما يكون برفقتي أو برفقة بعض المكسيكيين تجده يحيط نفسه بهالة الانعزال وكأنه يخبرنا أنه يفضل أن يكون وحيدا لأن الوحدة بالنسبة له هي التواجد مع أي شخص آخر ماعدا ماروشكا!

اضطررنا في إحدى الأيام للعمل في إحدى الغابات المكسيكية، كان بعض المكسيكيين يلجؤون إلى وادي "المكسيك" لنهب ممتلكات الريفيين هناك، وكانت مهمتنا التسلل ليلا وتطويق الواد والإمساك بالمجرمين لتقديمهم إلى العدالة.

قمنا بحفر خنادق حول المكان لنحمي أنفسنا، وقسمنا أوقات النوم والحراسة بيننا، كانت الساعة الرابعة صباحا حينما لعلع صوت الرصاص بين جدران الوادي!

ـ "سيف! سيف! استيقظ! نحن نتعرض لهجوم!" صرخت بكل قوة!".

صرخت بقوة ويا ليتني ما صرخت! فصديقي يملك من رباطة الجأش ما يجعل ردات أفعاله تشعرك أنك لست شيئا سوى

طفلة صغيرة خائفة! استيقظ من نومه، رفع جسده قليلا وأخذ يمعن النظر في الأفق ثم أخذت عيناه تتحركان ببطء إلى أن استقرتا عندي.

ـ "مصدر الطلقات من ذلك الجبل على اليمين، ربما هم بعض المرتزقة يتبادلون إطلاق النار فيما بينهم، أخبر المكسيكيين أننا لسنا نتعرض لهجوم، ليلزموا خنادقهم ويحترسوا أكثر! ".

ـ " حاضر سيدي!".

ـ " عبد الجليل!".

ـ " ماذا؟".

ـ " إياك أن تبدي لرجالك مجددا أنك خائف، حتى ولو تعرضنا لهجوم حقيقي فعليك أن تتحكم بأعصابك! لقد مات القذافي وهو يقول إنه سيدحر عدوه في كل بيت ودار وزقاق، وعلى الرغم من أنه في قرارة نفسه كان يعلم أن نهايته قريبة، إلا أنه كان يعلم أنه قائد، والقائد يجب أن يطمئن رجاله أن كل شيء على ما يرام".

لم أجبه بشيء، أومأت برأسي أن نعم وانسحبت بخجل إلى خندقي الذي أتشاركه مع بعض الرجال بينما رجع سيف إلى مكانه وجلس وحيدا، تبا له! حتى في غابات "المكسيك" يفضل أن يجلس وحيدا!

أخذت أراقبه يومها من بعيد وفي بالي سؤال واحد: "ما هذا الكائن العجيب!"، رأيته ينظر إلى الجبال الباردة والوديان المظلمة والغابات الموحشة وفي يده قلم وورقة وكأنه يدون أشياء، ظننت وقتها أنه يقوم برسم خطة أو كتابة أسماء أو معلومات تخص العمل، كيف لي أن أعرف أنه كان يكتب رسالة لحبيبته يبثها شوقه وولعه، يشكو لها همه وكدره، يستلهم منها قوته، ينسى معها وحدته... حبيبته التي تقضي وقتها في "باب الزوار" مع حبيبها "كريم"، حبيبته التي تفضل ذكرا يمتلك يختا على رجل يمتلك رجولة، حبيبته التي تبحث عن مستقبل لها لا عن مستقبل معه!

معظم الرسائل التي كتبها سيف لماروشكا كانت من صميم الواقع، في قلب الميدان، بأيادٍ ازرقّت من البرد، ارتعشت من الخوف، انجرحت من القسوة! كتبها وهو يظن أنه يكتب لملكة... حتى الملكات ولا يحظين بالمعاملة التي نالتها ماروشكا! لقد

أضاعت كل هذا... وأضاعت معهم رجلا بصوته... بملامحه... بمواقفه! ولا أقصد بالرجل أي رجل! بل أقصد ذلك الذي يحس معه الرجال بالأمان ناهيك عن النساء! ذلك الذي يحمي زوجته وعائلته وأرضه وقبيلته! ذلك الذي وجوده يجلب العالم وغيابه يغيبه! ذلك الرجل الذي يحترمه 80% من الرجال ويخافه الـ 20% الآخرون! أقصد بالرجل صديقي سيف الذي ذهب ولن يرجع إلى الأبد! والسبب في ذلك هي أنت يا ماروشكا! أنت هي السبب!

توقف قليلا يـا أيـها "الوقـت" ودعنـي أفهـم ولـو قليـــلا

مــاذا يجــري تبـــا لـــك! ارجع فقد تركت قلبـا عليــلا

ماذا أفعـل بنفـس مريضـــة؟ وفؤاد يصرخ ويعوي عويـلا

سرقت شبابا كان يضحك باسما طعنت حياةً ولم تترك دليـلا!

رميتني أين لا تعيـش الـكلاب وأهديتني رصاصـا وفتيـــلا

أخذتـها وقد كـانت بين يـــدي ولم تترك لي خليلـة أو خليـلا

أتخـالُ جرائمك مسـك روح؟ وقد فعلت بـذلك أمـرا جليـلا؟

لـم تُرني سوى مأســي شعب وأسمعتني دويـا وصليـــلا

لم تعطني ماء يـروي روحـي لم تهبنـي ولو مكـانا ظليـلا!

لـقد مـرت بضــع سنـــوات لم أر فيهـا شيئـا جميـــلا

لا شــيء ســوى عـــذاب لا أمـرا يشفـي غليـــلا

تركتنـي فـي غابـة الذئـــاب حسنـا إذن شكـرا جزيـــلا

تركتنـي منطفــئ الضيـــاء مجروحا مكسورا معذبا قتيلا!

"أريد أن أقتل نفسي!" هي ليست جملة يقولها مضطرب نفسي أو طفل ساذج يلعب لعبة "الحوت الأزرق" التافهة، إنها العبارة التي طالما رددها سيف طوال سنواته في المكسيك، لقد كان يتمنى الموت وأظن أن ذلك هو السبب في كونه لا يخشاه.

- "تبا لهاته الرصاصات اللعينة، ليت إحداهن تصيبني فتريحني من هاته الحياة الكريهة!".

- "الحياة كريهة فعلا، وحديثك عن الموت يزيدها بؤسا".

-"مرحبا بالبؤس! وهل يوجد من هو أكثر بؤس منا يا عبد الجليل! أنا أموت كل يوم قطعة قطعة! أستهلك نفسي كشمعة عيد ميلاد لعينة! أنظر إلي! ثيابي جديدة أليس كذلك؟ أبدو وسيما أيضا! أملك ما يكفيني من المال أه؟ لكنني لست سعيدا! لست سعيدا لأنني سجين في قصر "مونتيزوما" اللعين! لست سعيدا لأن حبيبتي اختارت فجأة أن تتوقف عن حبي وتحب غيري! لست سعيدا لأنني عدو نفسي وعدو الجميع!".

لقد كانت المكسيك هي جحيم سيف، كان يعتبرها عقابه الإلهي الذي يستحقه لأنه آثم. وما أصغر آثامه مقارنة بآثامنا! لقد كان سيف يعاني من تأنيب الضمير، أنا لا أعلم تماما ما فعله كي

يعاني من هكذا حالة، لكنه كان موخوزا جدا! كانت نفسه اللوامة تعذبه صبح مساء، صيفا شتاء، وكأنه خلق ليعيش في الضنك والقهر والبلاء!

كنا في إحدى المرات في جبال "سييرا مادري" وهي امتداد لجبال "روكي" الشهيرة، كانت الساعة تشير إلى الرابعة زوالا، وكانت الأمطار غزيرة جدا، كان كل واحد فينا يحتمي من تلك الأمطار تحت أغصان شجرة أو بين أحجار الجبل حتى لا يبتل، خاصة وأننا سوف نبقى هنالك لثلاثة أيام على التوالي. أجل! كنا جميعا كذلك، جميعنا ما عدا ذلك المجنون! سيف الذي وجدته يومها يقف شاردا كعادته والمطر ينال من ثيابه التي صارت تتقاطر بللا! كان الجو باردا فذهبت نحوه مسرعا:

- " سيف! ما بك هل جننت! لما لا تحتمي من المطر! لقد ابتلت ثيابك والبرد قارس! تعال معي، هنالك مكان جيد للاختباء!".

- "دعني وشأني يا عبد الجليل! وما الضير إن أنا بردت؟ أنت لا تعرف كم أنا بارد من الداخل، بارد جدا! لذلك فالبرد الخارجي لا يهمني إطلاقا! دعني أبتل يا صديقي فأنا أستحق ذلك!

أستحق أن أعيش معذبا في الدنيا كي أتأقلم مع النار التي ستلتهمني في الآخرة! بعضنا خلق ليعيش سعيدا، والآخر خلق للتعاسة، أنا هو الآخر يا صديقي! أنا من تكرهه الطبيعة، من يرفضه المنطق، من يخونه الحظ! لقد كانت ماروشكا تشاركني حياتي، تسمع حكاياتي، تستقصي عن أخباري، تسألني عن حالي، تحزن لحزني وتفرح لفرحي، كنا نلعب معا، نضحك معا، نتشاجر معا، لقد ذهبت ماروشكا يا عبد الجليل وأخذت معها روحي، أخذت معها الابتسامة، أخذت معها الحياة! أنا أعلم أنك تريد أن تجعلني سعيدا يا صديقي لكنني آسف! أنت لا تستطيع ذلك، لا أحد يستطيع فعل ذلك سواها! نادوها! أخبروها كم أحبها! كم أشتاق إليها! كم أنا نادم على كل شيء أذيتها به! لقد كانت ماروشكا هي نفسي الأخير، أملي النهائي، سعادتي الوحيدة! هي الوحيدة التي تعرفني يا أيها المكسيكي اللعين! هي الوحيدة التي عاشت معي في المكسيك، هي المرأة التي رغبت أن تكون زوجتي! لماذا يا ربي؟ لماذا تحرمني من كل شيء أحبه؟ تبعدني عن كل شيء أريده؟ تقطع عني كل أمر أجيده؟ هل تظنني يا عبد الجليل أعاني من البرد والبلل؟ أنت مخطئ جدا يا صديقي! أنا أعاني من الوحدة، من الظلم، من القهر، أنا أرغب بالموت يا صديقي... أنا أرغب بالموت!

لم يكن سيف هو الوحيد الذي عانى من حالة اكتئاب مزمنة بيننا، بل كان هنالك بعض المكسيكيين ممن عانوا من نفس حالته أو أسوأ.

"انريكه" كان أحد رجالنا، استيقظنا في إحدى الليالي الباردة من شتاء 2011 على الساعة الواحدة صباحا على صوت صراخ أحد الرجال، أذكر أنني خرجت بسرعة من مخدعي نحو مكان الصراخ لأجد حشدا كبيرا من الناس مجتمعا أمام مدخل غرفة "انريكه"، تقدمت بسرعة نحو مدخل الغرفة لأشاهد ما كنت أظن أنني لن أشاهد أبدا في حياتي! لقد كانت جثته معلقة بحبل في العمود المثبت لسقف الغرفة والدماء متناثرة في الأرضية! لقد ظننت للوهلة الأولى أن أحدا ما قد ذبحه وعلق جثته بتلك الطريقة، لكنني علمت بعدها أن الحبل الرفيع والمتين هو من فعل ذلك، أجل! لقد شنق نفسه وهو في عز شبابه! لقد ترك رسالة أخيرة أذكر منها هاته الكلمات:

"أبي وأمي العزيزان، أنا آسف جدا لأنني لن أعود إليكما، لكنني رجل، وأنا لا أحتمل الحقرة والتعسف، أنا أتعرض للحقرة يا أمي، الجو بارد وهم يريدونني أن أموت، سأموت قبل أن يقتلوني".

لقد كان "انريكه" أحد رجال سيف، وقد رأيته بأم عيني يعنفه بقسوة لمخالفته إحدى التعليمات ساعات فقط قبل انتحاره، رأيت يومها الدمعة تصارع العين كي لا تلفظها على خد سيف، تقدمت نحوه لأواسيه: "لم يكن ذنبك يا صديقي أنا أعلم أنك تحس...." قاطعني قائلا: "ليرحمه الله! عاش رجلا ومات جبانا! كنت أريد له ميتة أفضل! الانتحار جبن! لو لم يكن كذلك لنفذت حلمي بتوديع هاته الحياة اللعينة قبله!".

لقد توقعت منه قول ذلك، لأنه دائما يقول مالا يحس، يدعي الصلابة، يمثل دور المتماسك، وهذا ما يجعله هشا جدا من الداخل! هذا ما يجعله ينفجر ضعفا وبؤسا وشقاء!

- "سيف! علينا أن نتكلم حول الأمر!".

- " تبا له وتبا لك وتبا للولايات المتحدة المكسيكية! لا تحدثني عنه! دعني وشأني!".

"إجناسيو" أيضا كان أحد الرجال الذين عانوا من اضطرابات نفسية في المكسيك، لم أكن حاضرا يوم وفاته لكنني سمعت أنه سرق سلاح أحد رفاقه وأطلق النار على ثلاثة من زملائه فأرداهم قتلى! وحين حاول أحد الرجال أن ينتزع منه

السلاح بالقوة، أطلق النار خطآ على نفسه فسقط قتيلا على الفور، لقد قال شهود العيان أنه كان يقول حينما سقط صريعا أنه قد اكتشف أنهم ينوون قتله وعليه قتلهم قبل أن يفعلوا به ذلك!

لقد كنا نعيش في المكسيك كالإخوة، يجمعنا البعد والغربة عن أهلنا والبرد والخوف والمعاناة، لكن بعضنا لم يحتمل ذلك الضغط فصار يرى إخوته أعداء وأنهم ينوون الغدر به في أقرب فرصة، وقد تستغرب يا أيها القارئ كيف لرجل مثل سيف أن يضعف أمام هاته الضغوطات رغم قوته وشجاعته ومروءته، وأقول لك إنني أستغرب مثلك أيضا! ولكي أعطيك رأيي فأنا أظن أن هنالك سببان:

أولا لأنه كان القائد الأول للجميع، أي أنه كان يحتمل مشاكله ومشاكل كل مكسيكي بيننا، وثانيا لأن ماروشكا هي من حطمته! فقد يقوى الرجل على مجابهة الصعاب والتغلب على أقوى الرجال وأشدهم بؤسا! لكنه يضعف بسرعة أمام امرأة يحبها خاصة إن كانت هاته الأخيرة من النوع الذي يضعف الرجل لا من يقويه! فكما يقولون أنه وراء كل رجل عظيم امرأة، فوراء كل ضعف رجل امرأة أيضا! ووراء ضعف صديقي امرأة هدمت رجلا عظيما وجعلته كومة من الحطام!

نحن نحس برغبة شديدة لما نفقده، فالظامئ لا يرغب بشيء سوى الماء وساكن الظلام حلمه الوحيد وميض ضياء، والسقيم يدعو الله صبح مساء أن يرزقه الشفاء... ماذا كانت رغبتنا في المكسيك؟ ما هو الشيء الذي فقدناه؟ ما أكثر شيء كان ينقصنا؟ أستطيع القول بعد مضي ست سنوات من الكفاح أن المشاعر هي ما ضاعت منا، كنا نحتاج المشاعر والأحاسيس فلا نجدها، كنا نتمناها، نحلم بها، كنا نريد أن نسمع كلمة طيبة أو جميلة، كنا نضعف أمام فتاة تعتني بنا، امرأة تخبرنا بأنها تحبنا، وصلنا إلى مرحلة لا يهمنا فيها صدق المشاعر، المطلوب هو امرأة تقول لك أنا أحبك حتى ولو كانت تكذب، وبالحديث عن نفسي، فهذا ما عشته أنا واقعا في ملهى "لودنوقال" ببجاية، كانت بائعات الهوى يحمن حولي لأنهن كن يرينني 2000 دج وكنت سعيدا لأنني أخيرا في وسط أنثوي! "عيناك جميلتان جدا تستحق فتاة مثلي! "، "هيا معي أيها الوسيم أنا أعلم ما تريد"، "أراهن أن صديقتك لم تعتنِ بك جيدا، تبدو محبطا، تعال سأسعدك! "، أجل أنا محبط يا "رازان" ليس لأن صديقتي لا تعتني بي، بل لأنني وسيم غير محظوظ، الأمور معقدة في المكسيك، أنا أعتني بكثير من الناس لكنني أحتاج لمن يعتني بي! سأدفع لك فقط لكي تقولي لي أنك تحبينني، قولي إنني شخص مهم في حياتك وأنني رائع ومميز!

أنا أعلم أنك كاذبة، وأن اسمك ليس رازان، وأنك لست من "تيبازة" لأن لكنتك من غرب البلاد! لكنني وصلت إلى الحد الذي صرت أحتاج فيه بعض المشاعر حتى ولو كانت مزورة، بعض الغزل حتى ولو كان مصطنعا، بعض العطف حتى ولو كان مدفوع الأجر!

لقد كان الجميع في المكسيك يشتكي من قساوتها! من قساوتي! من قساوة سيف! ما بيدي حيلة! المكسيك قاسية علي ولذلك علي أن أكون قاسيا عليك كي تقسو على غيرك ونعيش معا في قسوة مكسيكية آثمة!

علينا أن نعيش في القسوة كي نبقى أقوياء! كي نصد هجومات المكسيكيين الأوغاد! كي نصطادهم من أوكارهم وهم ضعفاء في أحضان مكسيكيات!

هذا ما جعل ذلك الفراغ داخلنا يكبر... تلك الفجوة تتسّع... ذلك الشبق العاطفي يشتد! وهو نفسه ما جعلنا نتجه إلى تلك الأماكن التي لا تليق بمستوانا المتواضع!

اشتراء العاطفة بالمال، كان أسهل بالنسبة لنا من استقائها من فتيات لا يفهمن طبيعة عملنا ولن يفهمنها! فتيات نطلب منهن كلمة طيبة في يوم قاس فلا يهبننا سوى اللوم والعتاب!

" لما لم تتصل بي ؟"،" لما تهملني؟ "،"لما اتصلت بك ولم ترد؟"، كيف سأرد؟ هل أخبرك أنني كنت أطارد أحد المكسيكيين كي لا يطاردني؟ هل أخبرك أنني كنت أكلم المكسيكيين وأحذرهم من غدر جيرانهم؟ هل أخبرك أنني كنت أرسم خطة للهجوم القادم؟ لا سيدتي! "رازان" لا تهتم بذلك! ستعطيني جرعتي من الحب ولن تسألني لما لم أتصل! رازان امرأة ناضجة! وهي تفهمني جيدا لأنها عانت من قسوة الحياة كما عانيت! وتفهم جيدا أن أمثالنا يستحقون أن نعطيهم كل شيء ولا نطلب منهم شيئا ... أمثالنا يستحقون أن نعتني بهم لا أن يعتنوا بنا، أمثالنا كمرضى السرطان ...يستحقون أن نسعدهم لأننا سنفقدهم اليوم ...أو غدا ... أو بعد غد!

هكذا كانت أفكاري في المكسيك، وهكذا كانت تصرفاتي، أنا لم أندم على أي شيء فعلته لأنني أعلم جيدا أنني فعلت ما يجب فعله في ذلك الوقت! لقد سمعت من قبل عن تغير شخصية

الإنسان تبعا للتجارب التي يمر بها، أنا مدرك الآن أن هذه المقولة صحيحة، لقد تغيرت كثيرا، كما تغير كل شخص فينا، بعضنا نحو الأحسن والآخر نحو الأسوأ، لكن الشيء الوحيد الذي تغير فينا جميعاً هو فقداننا ل "الثقة"، أجل! فقدنا الثقة في كل شيء.... ماعدا أنفسنا!

أذكر أنني مشيت في أول يوم لي في المكسيك في أحد شوارع ولاية "موريلوس" مع أحد المكسيكيين القدماء، لقد كنت أقص عليه بعض النوادر حتى فاجأني بقوله: "أخفض صوتك سيسمعوننا!" سألته بدهشة: "من؟" أجاب: "جميعهم!".

لازلت أتذكر نظراته! كان يحدق كالمجنون، ويلتفت ليراقب الناس خلفه، كانت عيناه تتحركان بسرعة يمينا ويسارا وكأن أحدا ما يلاحقه!

في الحقيقة لم يكن ملاحقا! لقد عرفت بعد سنوات عديدة أن الماضي من كان يلاحقه! المكسيك من كانت تفعل!

العديد من حالات الطلاق شاهدتها بأم عيني، أغلبها كان مجرد أخطاء من رجال فقدوا الثقة في زوجاتهم فاختاروا الفراق على العيش في الشك!

"لوبيز" أحد رجالنا، قام بتطليق زوجته لأنه وجد هاتفها مشغولا. لقد استدعاه أحد القادة إلى مكتبه قبل أن يمضي على ورقة طلاقه ودار بينهما الحوار التالي:

- "لما ترغب بتطليق زوجتك؟".

- "إنها تخونني مع رجل آخر".

- "وكيف عرفت ذلك؟".

- "اتصلت مرة فوجدت هاتفها مشغولا".

- "آه خائنة! لا بأس إنهن نساء اليوم، يجب أن يكون لديها زوج تضمن مستقبلها معه، وعشيق تعيش معه فيلمًا تركيا لعينا! طلبك مقبول يمكنك التوجه إلى المحكمة!".

لا أدري كيف يمكنهم الحكم على الخيانة بسبب تافه كهذا! قد يكون رقما خاطئا، أو ربما كانت تكلم أختها أو صديقتها! السبب في الطلاق ليس الهاتف المشغول! إنها الثقة التي ضاعت وجعلتنا نعيش بقية حياتنا في الشك.

كيف لا تعيش في الشك ونحن نعيش في مجتمع يقذف في النساء دونما رحمة؟ قد تعجبك فتاة وتنوي الزواج منها وهنا يبدأ

أبناء وطنك: "من؟ فلانة! إنها شاطئ! لقد كانت مع فلان! وركبت في سيارة فلان! وصديقتها فلانة سيئة السمعة!".

لقد أخبرني صديقي مرة أن إحدى الفتيات ساقطة وعلي الابتعاد عنها وحين سألته إن كان رآها بأم عينه تفعل شيئا غير لائق أجابني: ماذا تنتظر من فتاة تضحك بصوت عالٍ!

هكذا كان تأثير شباب الجزائر وشباب المكسيك: الأولون يفقدونك الثقة في النساء والآخرون يفقدونك الثقة في الناس! الخوف، التوجس، الشك ....كلها صفات تراكمت يوما بعد يوم لتجعلنا مرضى نفسانيين يعيشون حياة تعيسة ... حياة كئيبة ... حياة أليمة!

عام 2017 كان من أقسى الأعوام التي عشناها في المكسيك، لا أكاد أتذكر تفاصيل غرفتي جيدا بقدر تذكري

لتفاصيل جبال "سييرا مادري" وتعرجات نهر "برافو ديل نورت" لكثرة ملاحقتي للمجرمين هناك.

لقد كنت ألتقط صورا للمناظر الطبيعية وأقوم بنشرها على صفحتي في الفايسبوك، كانت معظم التعليقات: "واو! منظر

رائع!"، " يا إلهي ما هذا الجمال! "، "استمتع بوقتك يا صديقي!"... ماذا لو أخبرتكم أنني كنت أرى تلك الصور مخيفة؟ ماذا لو علمتم أنني التقطت الصورة لأنني كنت أراها موحشة؟ المشكل لم يكن في المعلقين، بل كان فينا نحن المكسيكيون!

أنا لا أرى في الغابة اخضرارا وطبيعة وحياة... أنا أرى مجرمين متخفين وراء الأشجار ينوون القتل والذبح والتنكيل!

أنا لا أرى في الجبال قمما جميلة تعانق السحاب... أنا أرى ألغاما تقطع الأرجل، وقنابل تفتت الأجساد!

أنا لا أرى في الطرق والمنعرجات سبيلا للتنقل واستكشاف جمال الطبيعة الصماء... أنا أرى كمائن تنتظرنا ورصاصا يمطرنا وموتا يأخذنا!

كرهت المناظر الطبيعية، كرهت النوم في العراء، في البرد، تحت المطر، كرهت أحاسيس الخوف والشفقة والاكتئاب، كرهت النضوج قبل الأوان!

الشيء الوحيد الذي لم أكرهه هو رفاقي في السلاح، لقد كنا نشحن بعضنا بالشجاعة ونتعلم من بعضنا الكثير!

- "سيف لدي خبر سيء لك!".

- "ماذا هنالك؟".

- "لقد تم اختيارك لقيادة المكسيكيين والهجوم على وكر المجرمين الأوغاد الذين ينوون أن يسلبونا حقلنا".

- "أحضر لي سلاحي وأخبر المكسيكيين أن يتجهزوا، إنه يوم جيد للقتل!".

- "ألست خائفا؟ أنت تعلم أنك قد تموت أو قد تقطع رجلك؟ أتعلم أنك ستبقى أياما في البرد وتحت مطرقة المطر والخوف؟".

- "عبد الجليل، أنظر إلى بذلتي! هل تبدو لك بيضاء؟ أنظر إلي! هل أبدو لك طبيبا جراحا؟ أخبرني! لأنني لو كنت كذلك لذهبت فورا إلى غرفة العمليات! أنا مكسيكي يا عبد الجليل! ومهنتي أن أموت وتقطع رجلي وأقضي أياما في البرد وتحت مطرقة المطر والخوف! متى تدخل هاته الفكرة اللعينة في رأسك الغبي!".

لطالما شحذني كلام سيف بالهمة والعزيمة، لقد فهمت مفتاح شجاعته، إنها "القناعة"، أنا لم أكن مقتنعا، ولست مقتنعا، لكن كلماته أقنعتني، وجعلت سنواتي في المكسيك أقل قساوة.

اشتقت إليك يا سيف... اشتقت إلى صداقتنا يا أيها المكسيكي الوغد!

اشتقت إلى نفسي القديمة أيضا، تلك النفس المطمئنة المتأكدة أن أباها سيحميها، تلك النفس التي تحب البشر وترى الخير فيهم، تلك النفس التي تؤمن بالحب والعدل، تلك النفس السوية التي جبلت على حقيقة أن الخير أفضل من الشر وأن النور أفضل من الظلام!

نفسي اليوم مضطربة جدا، متأكدة أن أباها خائف لأنه لن يستطيع حمايتها، نفسي اليوم تكره البشر وترى الشر والبغضاء فيهم، نفسي تعلم أن الحب كذبة والعدل خديعة، نفسي تعلمت أن الشر جيد في معظم الأحيان وأن الظلام لا بأس به!

سمعت طلقا ناريا في إحدى الأيام، كان بجانب غرفتي تماما، أحسست إحساس أُمٍّ أن أحد أطفالي قد أطلق النار على

نفسه أو على أخ له! خرجت مسرعا إلى الباحة لأجد الجميع منهمكا بعمله وكأن شيئا لم يكن!

- "من أطلق النار!".

نظر الجميع إلي باستغراب بينما تكلم أحدهم:

- "لا أحد يا سيدي!".

- "هل تسخرون مني! لقد سمعت لتوي....." وهنا سكتت لأنني رأيت تلك النظرات التي كانت موجهة نحوي من رجالي، وقد كانت نظرات مشككة بالسلامة العقلية لقائدهم.

أعقبت قائلا:

- "لابد أنه أحد الصيادين، على كل حال ليعد كل شخص إلى عمله!".

لقد كنت متأكدا يومها أنني سمعت صوت طلق ناري لكن ثقتي بنفسي وبقواي العقلية تبخرت حين أتى إلي سيف مذعورا في إحدى الليالي:

- "لقد أضعت جهاز الـ GPS خاصتي يا عبد الجليل!".

- "حقا! سأجهز الرجال وسنبحث عنه فورا!".

- "كلا! الظلام حالك ولن نتمكن من العثور عليه سنفعل ذلك في الصباح الباكر!".

في الغد جهزت الرجال وذهبت نحو سيف فوجدته قد استيقظ وملامح السعادة بادية على محياه.

- "اسكت لا تخبرني! لا بد أنك قد وجدت جهاز الـGPS خاصتك!".

- "لماذا! هل ضاع! باولووو! أين هو جهاز الـ GPS؟".

- "إنه بحوزتي يا سيدي!".

- "آه لقد أخفتني يا عبد الجليل! هذا ليس مضحكا!".

لم أنبس ببنت شفة لعينة! ذهبت إلى رجالي مباشرة:

- "لقد وجد القائد جهازه لنعد إلى العمل!".

لا أريد أن أفكر في الأمر، لا أريد أن أشعر أن نفسي القديمة قد ماتت وأتت مكانها نفس مريضة! لا أريد أن أتقبل حقيقة أنني

أتخيل أمورا غير موجودة! لا أريد أن أعترف أنني أعاني من اضطراب ما بعد الصدمة!

جميعنا نتغير، من الأحسن إلى الأسوأ أو العكس، من السيء إلى الأسوأ أو العكس! أتذكر اليوم تغيري في المكسيك فلا أستطيع تصنيف نفسي! أظنني تغيرت من الحسن السيء إلى الأحسن الأسوأ!

ربما أفضل ما تعلمته هو ما استقيته من تجارب الآخرين، فأنت تتعلم من كل شخص شيئا صغيرا لتجد نفسك في عز شبابك فجأة شيخا محنكا!

تعلمت الكثير من صديقي "أوسكار" ذلك الشاب الوسيم معشوق الفتيات المغرور اللعين! لقد كان يعشق نفسه ويتباهى أمامنا بكل شيء: "أتعلم يا صديقي أن عضلاتي بارزة لأنني أتمرن طبيعيا ولا أتعاطى البروتين؟ أنظر إلى شعري إنه يدعى "الجمال المتوحش!" هل تعلم أن معنى اسمي هو "الرمح الإلهي؟".

تعلمت من أوسكار شيئا وقمت بتجربته مع إحدى الفتيات:

"حين تركب معك في سيارتك أعطها "كابل الأوكسيليار" وأخبرها أنك ترغب بسماع الموسيقى من هاتفها، إن رفضت فاعلم أن حبيبها الثاني يتصل كثيرا، وإن لم تفعل فحبيبها الثاني لا يكترث لها!".

الفتاة التي جربت معها هاته الفكرة كانت بين البينين، كان حبيبها الثاني يدعى شيماء وقد اتصل اللعين مرتين!

"مارلا" هي فتاة مكسيكية متزوجة، أتذكر تلك الليلة التي حكت لي قصة زواجها الرومنسية: "لقد خدعت ذلك المغفل، جعلته يظن أنه هو من أفقدني عذريتي، وهددته بأنني سوف أخبر الجميع، أنظر إلى أصبعي الآن أنا امرأة متزوجة!"

ليس من الضروري أن أخبرك ما تعلمته منها، لكنني تعلمت الكثير يا صديقي! الكثيييير!

المشكل أنني لم أستطع أن أعلم غيري، لقد أخبرت سيف مرارا أن تجربتي مع النساء ومخالطتي لهن جعلتني أتأكد من أمر واحد: "لا تتزوج! الأمر مقرف! مقرف جدا!".

لكن الرجال لا يعرفون ذلك! الرجال أغبياء! يقضون حياتهم في بناء أنفسهم، ويشقون في سبيل ذلك، ثم يتزوجون بعد

ذلك سامحين لتلك الأنثى الغبية بتهديمهم قطعة قطعة فلا يبقى منهم إلا الأساس... وكم هو محظوظ من بقي له "الأساس! ".

لقد احترق كل شيء في نفسي، ولم يبق لي سوى ذلك الأساس، أظلمت روحي وانطفأت وأنا الآن لا أنتظر شيئا سوى الموت لأنني أريد أن أسأل ربي: "لما عذبتني؟".

تجارب وخيبات كثيرة علمتني أن لا أثق في أي شخص، أن لا أثق في الحب ولا النساء!

الجو بارد جدا في منزلنا، يذكرني بالمكسيك، لازلت أحس بالخوف عينه والحزن عينه، والضياع عينه!

أنا أبكي اليوم بحسرة على كل شيء، ذكرى استشهاد صديقي، خيباتي في الحب، مستقبلي المظلم!

أن يعاني المرء من يوم أسود في الأسبوع هو أمر عادي، لكن أن تكون كل أيامك سوداء فالموت أفضل لك ولأمثالك!

لم أخبر سيف أبدا بما يختلج في صدري، بما يدور في عقلي، وكم مرة قدت السيارة بسرعة 180 كم/سا وأنا أفكر

بإدارة المقود بسرعة نحو حافة الجسر، لكنني أتذكر أن الانتحار جبن وأنا لست بالجبان!

كلما رأيت معاناة سيف مع ماروشكا، تذكرت علاقتي بحبيبتي، وكيف كانت هاته الأخيرة "تستعمرني" استعمارا لا رحمة فيه! وأتذكر وأنا أشاهد سقف غرفتي كل تلك المشاعر المخجلة: الذل، الخضوع، المهانة، الرضوخ وأحتار كيف يمكن للحب أن ينزل من مكانتنا إلى هذا الحد؟ كيف يمكنه أن ينقص من قيمتنا، من كبرياءنا، من نظرتنا الفخورة لأنفسنا؟

الحب ضعف، يجعلك تسمح لشخص بالتكلم معك بطريقة كنت لا تسمح لأي شخص كان بالتكلم معك بمثلها...

الحب قهر، يجعلك تحس بضعفك أمام من تحب وتحب ضعفك إن كنت امرأة وتزدريه إن كنت رجلا...

الحب نقصان، يجعل كل شيء فيك ناقصا، خاصة قيمتك... قيمتك اللعينة!

أنا أكتب قصة سيف وماروشكا وأنا أبكي على صديقي الذي لم أتمكن من مساعدته...وكيف كنت لأساعده وأنا عجزت حتى عن مساعدة نفسي!

هكذا كانت أيامنا في المكسيك أو بالأحرى بعضها! هكذا كانت مشاعرنا في المكسيك أو بالأحرى بعضها! أنت تسأل الآن إن كنا مضطربين! بالطبع كنا كذلك! ولا زلنا كذلك! وسنموت كذلك!

أنا مضطرب يا ولاية "أم البواقي"! أنا مضطرب يا "الشراقة" و"عين النعجة" أنا مضطرب يا "وهران" و"معسكر" و"غليزان"! أنا مضطرب جدا يا أيتها الولايات المتحدة المكسيكية.... يا سبب اضطرابي اللعين!

الفصل الثالث

الفاجعة

شهيد الواجب كنت بيننا صقرا...

في سماء زرقاء تمتلئ صقورا...

كنت أمننا ودرعنا...

كنت رجلا ثابتا، قويا، صبورا!

لم يقو رجل على مجابهتك حيا!

قتلوك بغدر...مِتَّ مغدورا!

تركت أُمًّا ناحبة...

أخا حزينا وأبا مقهورا!

تركت صديقك وحيدا...

تركته ظلما وتعسفا وجورا!

ألن أجد إليك مسلكا؟ ألن أستطيع للسماء عبورا؟

كنت لي أملا...

كنت قدوة وبهجة وسرورا...

قل لي بربك كيف كنت تمتلك كل تلك الخصال؟

ولم تكن متكبرا ولا مغرورا!

سأخلد ذكراك يا سيف المكسيك...

سأحكي للناس عنك أمورا وأمورا...

سيعلم الناس أن رجال الفولاذ...

يمتلكون قلبا وَحِسًّا وشعورا!

وسيعلم من ملأوا قاعات الحفلات أن وراءهم رجالا...

ملأوا بجثثهم توابيتا وقبورا!

الحادي عشر من سبتمبر من سنة 2017، وعلى الساعة التاسعة صباحا اتصل بنا القائد الأعلى وكان الأمر واضحا:

- "جهزوا الشاحنات وانتقلوا فورا إلى "مونتيري" هنالك مجرمون ينوون الدخول إلى ملعب البايسبول، ألقوا عليهم القبض وإن اقتضى الأمر اقتلوهم!".

أبلغت سيف فورا بالأمر ثم قمت بإرسال السواق إلى شاحناتهم لتجهيزها وأشرفت على مراقبة الأسلحة والعتاد الخاص برجالنا وحين أتممت ذلك اتصلت بسيف:

- "الرجال جاهزون يا أيها القائد!" أجابني: "سأحضر فورا!".

كانت هاته العملية روتينية، ففي كل مرة نجهز الرجال ونهجم على رجال آخرين، أتى سيف بنظرته الحادة ومشيته المتغطرسة وملامحه القاسية الشبيهة بملامح "برلين" من مسلسل "لاكاسا دي بابال" الإسباني! كان الصمت رهيبا، فجميعنا كنا نعشق تلك اللحظة التي يتكلم فيها سيف، كنا نحب طريقة كلامه وحركات يديه وتعابير وجهه ونبرة صوته وكيفية تشديده على الكلمات المهمة وتغيير سرعة الحديث وتباين حدة الصوت لديه،

كان سيف خطيبا بارعا، كان جميعنا متأكدا أنه كان ليبرع في السياسة لولا عشقه للبنادق الآلية ورائحة البارود!

نظر فينا مليا ثم بدأ كلامه:

- "يا أيها الرجال! يا أيها المقاتلون! أريد أن أقول لكم بضع كلمات كي أشجعكم لكنني أقف وأنظر إليكم فأجد أنكم أنتم من تشجعونني! أريد أن أخبركم أنه لا خوف عليكم ما دمت قائدكم فأجد الخوف قد تبدد مني لأنني أمتلك رجالا مثلكم تحت قيادتي! أريد أن أنبهكم إلى طريقة استعمال ذلك السلاح الذي تحملونه بين أيديكم لكنني أتذكر أنكم بارعون محنكون أكثر مني!

لقد تسلل بعض المجرمين إلى منطقة مونتيري وهم ينوون الدخول إلى ملعب البايسبول كي يزرعوا متفجرات C4 في المدرجات، إنهم يستهدفون المدنيين الأبرياء كعادتهم! مهمتنا أن ننزل عليهم نزول الصاعقة!

نحن قوة جمهورية المكسيك العظمى! البلاد التي ربتنا وجعلت منا الرجال الأقوياء الذين نحن عليهم الآن! وسنقوم اليوم بالقضاء على شرذمة من المجرمين الأوغاد، هم أشباه رجال نبذتهم المكسيك، نبذتهم عائلاتهم، نبذتهم الطبيعة! أشباه رجال

ينوون إيذاء عائلاتنا، ولو سمحنا لهم بذلك فالأفضل لنا أن ننزع هاته البذلة المقدسة التي نرتديها ونلبس سراويل ضيقة لأنها حتما ستليق بنا إن فعلنا!

أتعلمون ماذا سيحدث لنا إن فشلنا؟ ستنفجر تلك القنابل وستودي بحياة أخي وأخيك، أبي وأبيك، قريبي وقريبك، سيموتون وسنبكي عليهم ثم ننساهم، لكن لا أحد فينا سينسى أنه قد كان السبب في موت أقربائه، وهم أيضا لن ينسوا، ستذكر أمك جميع أبنائها في العرس: "لدي ثلاثة أولاد، الأول محام والثاني أستاذ والثالث تاجر"، أنت تعلم جيدا أنك ابنها الرابع لكنها لن تذكرك! ولما تلومها؟ هل تعلم ماذا سيحدث لها إن قالت: "والرابع مكسيكي؟"، ستنظر كل النسوة إليها نظرة ازدراء ويسألنها ذلك السؤال المؤلم: "ولما لم يحم إذن زوجي وابني اللذان استشهدا في ذلك الهجوم الغادر؟ ابنك جبان!".

ستدرك في ذلك الوقت أن أمك أصبحت تزدريك أيضا، وحين يتقدم أحد لخطبة أخت أحدكم فسيقول الناس إنه سيخطب أخت ذلك الفاشل الذي كان الجميع يعول عليه أن يحمي وطنه، لكنه لم يفعل، وترك الجميع يموت بسببه!

أما زوجتك التي كانت تقلقك دوما بطلباتها المتكررة لزيارة أهلها فأبشرك أنك لن تقلق بعد الآن، فقد أصبحت الآن تخجل بك! أراهن أن أختها ستقول لها: "وماذا فعل زوجك الذي صدعت لنا رأسنا به! زوجي مكسيكي! هههههه هيا قوليها مجددا هههههه".

أنا متأكد أن لا أحد فينا سيتعرض لموقف مشابه، لأنني متأكد أن رجالي رجال! وجميعنا نفضل الموت على أن تمس كرامتنا أو كرامة بلادنا، أنا فقط أخبركم عن مصير المخنثين الجبناء، أولئك الذين يخسرون الحروب ويعودون إلى عائلاتهم سعداء لأنهم نجوا! نحن نفضل الموت الزؤام على الخسارة! نحن أبناء المكسيك! نحن عزها وفخرها!".

قمنا بركوب الشاحنات، وجميعنا ممتلئون نخوة وحماسا! كلام سيف أثر فينا جميعا! أردنا أن نقتل المجرمين ونستلذ طعم النصر بأي ثمن!

انطلقت الشاحنات الواحدة تلو الأخرى وجميعنا ننتظر أن نصل إلى مونتيري، كانت الطريق طويلة لذلك قضيت الوقت في مشاهدة جمال المكسيك!

لطالما جزمت أنه لولا اللصوص وتجار المخدرات والأوغاد المسلحون لكانت السياحة في المكسيك في أوجها رغم احتلالها للمرتبة الثالثة والعشرين عالميا في عدد تدفق السياح، يأتي الأغلبية هنا إلى "مكسيكو سيتي" لرؤية بعض المعالم السياحية ك "هرم الشمس"، "هرم القمر"، "بلازا مكسيكو"، "القصر الوطني المكسيكي" وغيرها من المعالم التي تزخر بها هاته المدينة الجميلة.

أخذت أراقب السلاسل الجبلية الجميلة وأشكر الله أن أعطانا نعمة البصر كي نشاهد هاته البراعة الهندسية الإلهية! كم أعشق تنوع التضاريس في بلادي الذي يجمع بين خليج آيلا وصحراء باخا!

كان الجو معتدلا، ونسمة باردة تتسلل من حواف النافذة وكأنها تأبى إلا أن تجعل الجو داخل المقصورة مثل ما هو في الخارج، أغلقت النافذة وأخذت أتجاذب أطراف الحديث مع "رودولفو" سائق الشاحنة، كان رجلا بسيطا ذا شوارب كثيفة غير ممشوطة، لطالما اعتقدت أن أصحاب الشوارب رجال متزنون عقليا رغم ثقتي بأن المظاهر خادعة جدا!

ـ "لما اخترت أن تكون مكسيكيا؟" لم أتمالك نفسي لسؤاله هذا السؤال الذي أرغب بطرحه على جميع المكسيكيين: ما هو الدافع الذي يجعل شخصا يختار أن يأخذ سلاحا وينام في العراء على أن يأخذ عناقا وينام في الفراش؟

ـ "الخبزة!" هكذا كان جوابه، ببساطة، بكلمة واحدة ودون أن يحرك عينيه اللتان استقرتا بثبات على الطريق.

"الخبزة" هي كلمة عامية تعني "لقمة العيش"، عرفت بعد سنوات أن أسباب قدوم الشباب إلى المكسيك متفرقة أهمها: لقمة العيش، حب الوطن، الرغبة في الاستقلالية والبحث عن النفوذ!

أخذت أفكر حول سبب قدومي إلى المكسيك، تذكرت كل شيء، حقيبتي السوداء التي تحتوي على بذلتين رياضيتين ولوازم النظافة، مطار هواري بومدين، الطائرة، المحيط الهادي.... وتذكرت فكرتي أيام المراهقة: أريد أن أموت في الحرب!

لم تتحقق أمنيتي في الموت في المكسيك، لكنني عدت وكل شيء ميت بداخلي!

نظرت إلى الساعة، كانت قد مضت ساعتان كاملتان منذ أن انطلقنا، لا بد أننا سنصل بعد نصف ساعة، كنت خائفا لكن سيف

قد بسطها لي: إن لم أقض على المجرمين فستحتقرني زوجتي وأختي وأمي! أنا أريد أن أكون فخرا لهن! علي إذن أن أقاتل!

هكذا هي الحياة خلقت كل إنسان بجنس معين، وعليه أن يفعل ما يستوجب عليه جنسه لكي يؤدي وظيفته في المجتمع: أنت رجل؟ إذن عليك أن تعمل وتحارب وتموت! أنت امرأة؟ إذن عليك أن تعتني بالبيت وتتحملي آلام الولادة وتربي رجلا قادرا على العمل والحرب والموت أو امرأة قادرة على أن تعتني بالبيت وتتحمل آلام الولادة وتربية المواليد!

هذا هو قانون الحياة، فإما أن تتماشى معه أو ترفضه، إن رفضته فستكون مخنثا جبانا إن كنت ذكرا، ومسترجلة عانسا إن كنت أنثى!

توقفت الشاحنة التي أمامنا، كنت أظن أنه عطل، فقد تحدث أحيانا أعطال فجائية تلزمنا الوقوف حتى يقوم الميكانيكيون من إصلاحها ثم نعود من جديد لنكمل طريقنا. توقف السائق على حافة الطريق ونزلت لأرى سبب العطل.

"الطريق مليئة بالأحجار يا أيها القائد، علينا أن نبعدها حتى تتمكن الشاحنات من المرور" قال سائق الشاحنة الأولى. أجبته

قائلا: "حسنا سأحضر بعض الرجال ونقوم بإبعادها، يا له من يوم سيء!".

ذهبت لأحضر الرجال فوجدت سيف يملأ المكان صراخا: "انتشروا بسرعة! ليختبئ كل واحد فيكم وراء ساتر! ليضع كل فرد فيكم طلقة في بيت النار!".

- "ما بك يا سيف! ماذا حدث!".

- "ماذا حدث! لا بد أننا وقعنا في كمين يا أيها الغبي اخفض رأسك!... أجل هكذا! تبا لهم كم هم أوغاد! لا يقوون حتى على المواجهة! لا يتقنون سوى الغدر!".

- "ولكن كيف يستـ.....".

- "أغلق فمك اللعين واسمعني! ابق بجانب الأحجار، لا تترك أي شخص يتقدم نحوها، قد تكون ملغمة، سأقوم بالسيطرة على ذلك المرتفع وأريدك أن تخرج الرجال بسرعة من الطريق سأؤمن لك الحماية! هيا أسرع!".

لم يكمل سيف كلامه حتى بدأت الطلقات النارية تتهاطل علينا كالمطر، أحسست يومها بشلل جسدي كامل ولم أقو حتى على حمل سلاحي، لقد كانت الطلقات فوقي مباشرة وكانت تستقر في سطح صخرة كبيرة أسفل الجبل، وكان ذلك أول يوم لي أسمع فيه صوت الطلقات وهي تستقر في هدفها، لأنني لم أسمع قبلا سوى صوت الرصاصة وهي تخرج من السلاح وتمنيت كثيرا أن لا أكون في الجانب الآخر رغم فضولي لسماع الصوت.

كان صوت استقرار الطلقات شبيها بصوت مطرقة ضخمة تحطم الجدار! كان الصوت رهيبا، تذكرت في بضع ثواني أمي الحنونة وأسفت كثيرا لأنني خذلتها، لطالما كانت المسكينة تريد الخير لي لكنني أبيت إلا أن أخيب ظنها، كم عانت من أجلي لتجعلني شابا صالحا إلا أنني كنت أبعد ما يكون عن الصلح! ماذا ستفعل حين يخبرونها أن ابنها قد مات؟ ستبكي... ستبكي مرة أخرى لأنني خذلتها حتى في رغبتها أن أكون فقط على قيد الحياة!

تذكرت حبيبتي "ميا" لقد أحببتها كثيرا لشدة أنوثتها وأحاسيسها المرهفة وحبها الشديد لي، لا بد أنها ستبكي علي كثيرا ثم تتزوج رجلا آخر وتنساني!

تذكرت أخي الصغير، وندمت لأنني لم أحتضنه وأقبله يوم خرجت من منزلنا ولم أعد! ليتني أخبرته بأنني أحبه!

تذكرت بيتنا الصغير البارد، وتذكرت أبي قاسي القلب! لقد قسى علي كثيرا لكنني أغفر له!

لقد غفرت لجميع الناس في ذلك الوقت، لكنني لم أغفر أبدا لنفسي، تذكرت تقاعسي عن أداء الواجبات الدينية، عن قطعي لرحمي، عن المخدرات والكحول التي أتعاطاها كي أخفف ألمي ووصلت إلى نتيجة منطقية: إن لم يرحمني الله فأنا أستحق أن أرمى في الجحيم!

"كثفوا النيران!" صرخ سيف بقوة! "علينا الرد بقوة والخروج من الكمين!".

كان الرصاص يتطاير يمينا وشمالا لدرجة أنك لا تعرف صديقك من عدوك! همس سيف في أذني "اتبعني!"، بدأنا نزحف بسرعة من شاحنة إلى أخرى، ونرمي طلقات عشوائية كي نكتشف مكان عدونا. صرخ سيف قائلا: "أنا أراهم يا عبد الجليل! إنهم داخل تلك الغابة! سأقوم برفقة مجموعة رجال بتغطيتكم!

أريدك أن تخرج البقية بسرعة وتقوم بتطويق الغابة! سيرى الملاعين اليوم مدى قوتنا...وهول بطشنا!".

لم أعتد مناقشة أوامر سيف! رغم أن أفكاره تبدو لي هوليودية بعض الشيء، كيف اعتقد بحق الجحيم أنه كان بإمكاننا الانسحاب من الكمين! لقد كنا ميتين لا محالة!

بدأ سيف بالرمي على الأعداء وأخذت أتسلل مع الرجال خارجين من منطقة الكمين بهدف تطويقهم وإبادتهم! لكن خروجنا كان شبه مستحيل لأن نيرانهم لم تتوقف، فقد كانوا كثيرين بذخيرة لا تنتهي!

"يا أيها القائد! يا أيها القائد!" صرخ أحد الرجال.

ـ "ماذا هنالك!".

ـ "لقد أصيب آدم في بطنه، الوضع سيء!".

ـ "أين هو الممرض نادوه بسرعة!".

ـ "لقد حوصر خلف تلك الصخرة ولا يمكنه التقدم!".

ـ "تبا!".

إنها الكلمة الوحيدة التي استعملتها في ذلك اليوم المشؤوم! إن أسوء ما قد يحصل لك يوما ما هو أن تقع في كمين! لأنك مهما كنت جاهزا للحرب فلن تتمكن من الاستعداد للرد! الكمين أشبه بشخص يطعنك في ظهرك في زقاق مظلم في ليلة عيد الميلاد!

نظرت إلى سيف فوجدته جالسا في الأرض القرفصاء، كان يعانق بندقية الكلاشينكوف بيد، ويحمل في يده صورة لفتاة جميلة، كان ينظر إليها بطريقة غريبة حتى أن ملامحه تغيرت، أنا لم أعهد من قبل تلك النظرة في سيف، كانت أشبه بنظرة أم تودع ابنا لها سيذهب إلى الحرب ولن يعود، كانت أشبه بنظرة طفل صغير انتحرت أمه أمامه كما في مسلسل: "نهاية العالم اللعين!"، كانت أشبه بنظرة أب عجوز يقوده ابنه الوحيد إلى دار العجزة!

ـ "سيف! ماذا سنفعل! ستنفذ ذخيرتنا! سنموت عن آخرنا!".

ـ "لا أحد فيكم سيموت يا عبد الجليل! سننتقل إلى الخطة الاستثنائية، على أحدنا أن يضحي من أجل إخوته، على أحدنا أن

يتسلل إلى تلك الهضبة ويركز نيرانه على القتلة، عليه أن يربح الوقت حتى ينجو جميع الأطفال، ثم أنت تعلم!".

ـ "سأذهب أنا يا سيف! سأفديكم بروحي! خذ رجالنا إلى بر الأمان! سأنزف من أجلكم حتى آخر قطرة من دمائي! سأروي أرض المكسيك بدمي كما رواها من قبل أجدادي!".

ـ "اخرس يا عبد الجليل! من أنت حتى تعطيني الأوامر! أنا القائد هنا وأنا من يعطي التعليمات! خذ الرجال وانصرف من هنا! بسرعة يا أيها الوغد! سأغطيكم!".

ـ "ولكن يا سيف لا يمكنني أن أتركك تـ.....".

ـ "اخرس ونفذ ما أقول! أنت لديك أم وأب وعائلة تنتظرك، أنا عائلتي لا تهتم بي! أنت لديك حبيبة تحبك وتنتظر قدومك، أنا حبيبتي تركتني! لقد أحببتها يا عبد الجليل، أحببتها كما لم يحب رجل امرأة من قبل! كان حلمي أن أذهب إلى منزلها مع أبي وأمي ونحن نحمل معنا كعكة وردية بذوق الفراولة، أن ندق باب منزلهم وتجتمع عائلتانا ويقول أبي الجملة الأسطورية: "جيناكم بالحسب والنسب، جينا طالبين يد بنتكم ماروشكا لولدنا سيف"!، أن نقضي بعدها ليال ونحن نخطط لأثاث بيتنا، حلمت أن أتشاجر

معها حول نوع الأرائك في صالة الضيوف وأن نختلف حول لون الستائر، حلمت أن أتزوجها ونذهب معا إلى الطبيبة لأسألها بشغف: "هيا أخبريني هل هو ذكر أم أنثى؟"، أنا متأكد يا عبد الجليل أن سعادتي ستكون نفسها مهما كان جنس المولود، المهم أنني أريد قطعة لحم صغيرة تشبهني وتشبهها! لطالما حلمت يا صديقي أن أقضي معها ليال نتناقش حول اسم المولود، ماروشكا متيمة بالمسلسلات التركية لذلك فأنا متأكد أنها ستقترح علي أسماء غريبة وسنتشاجر مجددا ومجددا! لقد حلمت يا سيف أن تكون زوجتي وأكون زوجها، أن أحبها وأحميها كما أحب وطني وأحميه، لكنها لم ترغب بذلك يا عبد الجليل! ماروشكا لا تحب المكسيكيين، ماروشكا تحب القلم لا السلاح، تحب السلم لا الكفاح، تبتعد دوما عن العواصف والرياح! هل فهمت لما علي أن أضحي؟ لأنه هنالك فرق بيني وبينكم! كل شخص فيكم لديه ما يخسره، أما أنا فلا أملك شيئا! لن يبكيني أحد يا عبد الجليل ولن ينعيني أحد، فدعني على الأقل أموت من أجل أشخاص أحبهم، ومن أجل أرض أحبها ومن أجل قضية أؤمن بها! جليل! إن التقيت يوما ما ماروشكا أخبرها أنني عشت وأنا أحبها ومت وأنا أعشقها، أخبرها أنني مت وأنا سعيد لأنها سعيدة، أنا أحب كريم كثيرا لأنه يجعلها سعيدة، ربما أغار منه قليلا لكنه يستحقها، فهو

على الأقل يعطيها ما لم أتمكن من اعطائها يوما، هيا يا أيها الوغد اللعين! نفذ الأمر الآن وتوقف عن البكاء كالمخنثين! أخرج الرجال الآن وإلا فجرت رأسك الغبي!".

وقفت متجمدا في مكاني، أبكي بحرقة! أشاهده وهو يثب من صخرة إلى أخرى، من شجرة إلى أخرى، وثبة ليث أصيل! وثبة مقاتل فذ! وكلما استقر أمام ساتر أخذ يرمي دفعات من الرصاص ليثب مجددا وهو يتقدم نحو العدو ذاهبا مباشرة إلى وكره!

كنت الوحيد الذي يعرف "الخطة الاستثنائية" كانت نهايتها كما أخبرني سيف: "حين تسمع صوت انفجار القنابل اليدوية، اخرج من مكان الكمين وطوق العدو مباشرة!".

اقترب سيف على بعد أمتار من خنادق الأعداء وبدأ برمي القنابل اليدوية عليهم، توقف صوت إطلاق الرصاص من جانبهم، صرخت قائلا: "ليتبعني الجميع!" أخذنا بالخروج من على حافة الطريق الواحد تلو الآخر دون أن يتمكن الأعداء من رؤيتنا واتجهنا مباشرة خلفهم وقمنا بتطويقهم! كان هدفي واحدا: أن أطوق الأعداء قبل أن يلمسوا شعرة من رأس سيف! قمت بوضع

كل رجل في مكان مناسب وصرخت: "أطلقوا النااااار!" بدأنا بالهجوم على الأعداء بقوة وجرأة وشراسة! نرمي عليهم وابلا من الرصاص ونحن نقترب نحوهم، أخذت أشاهد بعيني هاتين سقوطهم الواحد تلو الآخر! سألني العديد من الناس إن كنت قد قتلت أشخاصا وكم عددهم وكان جوابي دائما: لا أعلم! لأنني حقا لا أعلم! فنحن نرمي الرصاص في أعداد كبيرة ويتساقط العدو أمامك ولا تدري إن كانت رصاصتك هي التي قتلته أم رصاصة زميلك الذي على يسارك!

لم أكن أعلم عددهم حقا، لكنني كنت متأكدا أنهم هالكون لا محالة، لم يهمني شيء بقدر اهتمامي بمصير سيف، تبا له! أين هو أنا لا أراه؟ "سيف!"، صرخت من خلف الأشجار: "أوقفوا إطلاق النار!"، خيمت السكينة فجأة على الغابة، وكان المنظر كئيبا، أشجار مخيفة، حشائش محروقة، نيران مشتعلة، ودخان وسواد في كل مكان! أخذت أقترب رويدا رويدا مع ثلة من رجالي، نقطع الطريق بين الجثث المتناثرة هنا وهناك، كان الجو خانقا جدا! ولا زلت إلى يومنا هذا أعاني نفسيا كون تلك الرائحة قد علقت في أنفي إلى الأبد! كانت عبارة عن رائحة الدماء مختلطة برائحة اللحم المشوي ورائحة البارود ودخان الحشائش

المشتعلة! أخذت أنظر إلى ملامح المجرمين وهنالك تعلمت شيئا: حين يفسد خُلُقُكَ فسيفسد خَلْقُكَ تدريجيا حتى أنك لن تستطيع التعرف على نفسك في المرآة! كانوا دميمي الوجه جدا! ضعاف البنية الجسدية، نتني الرائحة! يبدو عليهم من شعورهم أنك لو سألت أحدهم إن استحم مرة في حياته فسيجيبك: "استحممت؟ أين يباع استحممت هذا؟ إن كان جيدا فسنسرقه وسنقتل صاحبه!".

أخذت أقلب الجثث، وأعد القتلى، وحين وصلت إلى الرقم 14 سمعت صوت أنين، وجهت سلاحي نحو الصوت ووضعت أصبعي على الزناد وحين هممت بإطلاق النار منعني أحد رجالي قائلا: "سيدي لا ترمي! لنرى مصدر الأنين أولا! قد يكون سيف!".

اقتربت من مصدر الأنين، لأجد سيف ملقى على الأرض والدماء الطاهرة تسيل منه، أسرعت بوضع يدي على مكان الجرح: "لا تخف يا سيف! ستنجو! الجرح ليس كبيرا! ألفريدو! نادوا الممرض اللعين! أين هي الضمادة؟ تبا! تماسك يا سيف سأسعفك!".

ـ "لا تتعب نفسك يا عبد الجليل! أنا لن أصمد حتى ولو حاولت الصمود! أحس بالموت يا صديقي، أتعلم شيئا؟ لطالما أحسست بالموت وأنا حي، عشت ميتا وسأموت مجددا، لكن الشيء الوحيد الذي يختلف بين موتي الآن وموتي السابق هو هذا البرد الذي أحسه يتصاعد من رجلي متجها إلى رأسي! أحس بضعف في أجنابي يا عبد الجليل، وبروحي تنساب منهم خلسة وكأنها ترغب بخيانتي هي الأخرى، أحس بالعطش يا صديقي، وبقلبي يخفق بطريقة غريبة وكأنه سيودعني، أحس بالدماء تنساب في عروقي بصعوبة، أستطيع سماعها أيضا! أستطيع حتى سماع الرسائل العصبية وهي تختل داخل عقلي ونخاعي الشوكي اللعين! أحس بالطمأنينة التي لم أحس بها طيلة حياتي يا صديقي، أحس بالأمان، وكأنني سأرجع مجددا إلى خالقي لأشكوه ظلم عباده!".

ـ "لكنني لا أرغب بموتك يا سيف! سأعيش نادما طيلة حياتي لأنني لم أحمك كما حميتني ولم أذد عنك كما ذدت عني!".

ـ "لا أحد يستطيع حماية الآخر يا صديقي، جميعنا نود فعل ذلك، نرغب بحماية من نحبهم، لكن الحياة تفاجئنا بابننا يغرق في البحر، وأبينا يموت في حادث سيارة، وأمنا تموت بالسرطان،

بينما نقف مشدوهين لا نقو على فعل شيء، وفي ذلك الوقت ننضج لنعرف أن الموت أقوى منا، ليس الموت فقط، كل شيء أقوى منا، نحن ضعفاء جدا يا صديقي وتلك القوة التي نبديها ما هي إلا رحمة من الله بنا كي لا نحس بالقهر!".

-" لكنني أحس بالقهر يا سيف! ماذا سأفعل من بعدك!".

-"هنالك الكثير لتفعله من بعدي يا عبد الجليل! هؤلاء الرجال بحاجة إلى رجل شهم ليعتني بهم، لقد تركوا عائلاتهم وذويهم وأتوا إلى المكسيك ليعملوا في هاته الظروف القاسية، إياك أن تظلم أحدهم فيشكوك إلى الله يا عبد الجليل وسيعاقبك بشدة لأنك ظلمت عبده! عليك أن تعتني به، أن تحل مشاكله، أن تنصحه وترشده، أن تمد له يد العون، عليك أن تنكر ذاتك يا صديقي، فأنت قائد، والقائد ينكر ذاته ويهتم بذوات رجاله، لا تأكل حتى تتأكد أن جميعهم أكلوا، ولا تشرب حتى تتأكد أن جميعهم شربوا، لا تجازف بهم، وحافظ على حياتهم قبل حياتك، إن متُّ يا عبد الجليل ونجوا فستحس بالسعادة التي أحس بها الآن وأنا أودع هاته الحياة الكئيبة، لكن إن بقيت على قيد الحياة ومات أحد رجالك فلن تعرف طعم النوم بعدها أبدا! ستعيش في الندم وتموت ميتة شنعاء! أتعلم ماهي الميتة الشنعاء للمكسيكي يا

صديقي؟ هي أن يموت على فراش المرض، لا أن يموت في ساحة الوغى!

عليك أن تعتني بهم يا أخي! لكن إياك أن تدللهم، عليك أن تكون قاسيا معهم لكن دون أن تظلمهم، القسوة تصنع الرجال يا عبد الجليل! ومن عاش في الرخاء وادعى الرجولة كمن عاش في الرذيلة وادعى التعفف!

عليك أن تكون قدوة لرجالك يا صديقي! ولا تعطهم أمرا وتفعل غيره، كن رجلا كي يكونوا رجالا، دعهم يتأثرون بك وبأخلاقك! أنظر إلى نفسك الآن! أنت تبكي أمام ألفريدو مثل تلك التي مات حبيبها! أنظر إليه إنه يبكي هو الآخر! آه! لقد مت من أجل جماعة من المخنثين!".

ـ "لو كان البكاء على موت رجل بشهامتك يا سيف تخنثا فنعم! نحن مخنثون! وسأبكي عليك طيلة حياتي! وسأخلد ذكراك يا سيف! سأكتب كتابا عنك، وسأصنع لك تمثالا يخلدك! أنت رجل لست ككل الرجال! أنت رجل يجعل أكثرنا رجولة يخجل من نفسه! أنت أخلاق يا سيف! لا تغمض عينيك أرجوك ابق معي!".

- "وداعا يا ماروشكا! ماذا؟ أتريدين مني البقاء؟ آسف لا أستطيع ذلك، أريد أن أبقى معك لكنه يناديني! حقا؟ آه شكرا! أنا أحبك أيضا! هل تركت كريم من أجلي! أجل سنتزوج! لا بأس أنا أغفر لك! أنظري إلى "كوراي" كم هو وسيم! هيا قل بابا!!! آه تبا! لما علمته أن يقول ماما فقط؟! أنت "تبستشين" مجددا يا أيتها الفقمة! لا تبك يا صغيري! المخنثون فقط هم من يبكون، هيا تعال لن أدعك عند الماما ستربيك تربية فتاة، هيا ازحف يا أيها اللعين! ولا تتوقف من الزحف حتى أرى الدماء تسيل من ساعديك! آه! أنظري يا ماروشكا! لقد أتت حماتك! لقد أتت أمي الجميلة! لما أنت غاضبة يا أمي! توقفي لا تضربيني فأنا رجل كبير الآن! توقفي أرجوك أنت تؤلمينني! أجل مفهوم يا أمي "البكاء للمخنثين"! سأتوقف عن البكاء توقفي عن ضربي فقط أرجوك! الأمهات لا يضربن أولادهن! أنت قاسية كثيرا! أنا أكرهك! سأهاجر وأتركك كما تركك أبي! سأذهب إلى المكسيك! لا تبصق يا "كوراي" هذا عيب! أنت رجل متأدب! أين هي أمك؟ ماذا؟ ذهبت مجددا؟ لاااا! تعالي يا ماروشكا أرجوك! لا تتركيني مجددا! لما يسرقك ذلك الأسمر المغفل مني كل مرة! أنا آسف يا أمي لأنني تركتك! أنا نادم لأنني أتيت إلى الحياة! هل أنتم... تما...تو.....".

- "سيف أرجوك! لاااا! لاااا!".

استشهد سيف أمامي! أغمضت بيدي هاتين عينين الرجل الذي حمل طيلة حياته آلاما كثيرة لا تنتهي! أحسست بالقهر وأنا أشاهد جثة هذا الرجل الطاهرة وقد أصبحت كتلة من الجماد! تذكرت يومها مقولة أحد الأصدقاء : "حين يقوم المرقي بطرد الجني من شخص مسكون فقد يخرج ذلك الجني من جسده ويدخل في جسد الشخص الذي يجلس بجانبه"، أحسست أن روح سيف المعذبة دخلت جسدي ذلك اليوم وسكنته! أحس بالعذاب يا إلهي! أحس بحرقة! قلبي يؤلمني كثيرا يا رب! لما عشت لأراه يموت ويتلفظ بتلك الكلمات؟ لما لم أمت قبله! لما لم أمت قبله!

احتضنت جثة سيف وأنا أبكي بحرقة! أبكي بشدة! التف المكسيكيون حوله وأخذوا في البكاء عليه، وقفت فجأة ومسحت دموعي وصرخت قائلا: "توقفوا عن البكاء كالمخنثين! لقد استشهد قائدنا فداء لهذا الوطن المجيد! فداء للولايات المتحدة المكسيكية! علينا أن نفرح وندعو الله أن يمنينا بنهاية مشرفة كنهايته! لنحمل جميعنا أسلحتنا في السماء، ونطلق مع بعض رصاصات تخليدا لهذا المقاتل الفذ!".

أطلقنا سبع رصاصات في السماء أحسست أن كل رصاصة تحمل معنى في صوتها: قوة، شهامة، تضحية، فداء، مجد، بطولة، كفاح!

ما أجمل أن تكون رجلا! أحسست بذلك يومها! وما أروع أن تموت في أرض المعركة! في قلب الميدان! في ساحة القتال!

حملنا الجثث وقفلنا راجعين، رأيت أحد المكسيكيين يقوم بجر جثة أحد المجرمين على الأرض: "توقف يا هذا! ما الفرق بينك وبينه الآن؟ أنت متوحش مثله تماما! عليك أن تعامل الجثة باحترام! نحن مقاتلون يا ابني ولسنا مجرمين! لقد مات الآن وانتهى الأمر ولا ضغينة بيننا وبينه، تلك التي بين يديك ليس هو، تلك جثة "إنسان" خلقه الله الذي خلقك! احملها فوق كتفك وضعها في الشاحنة بعناية!".

خجل الرجل من نفسه ونفذ ما قلته، أما أنا فقد اندهشت من كلامي! لقد أثر سيف كثيرا في نفسي وقررت أن أحمل أخلاقه! لقد مات العالم الفيزيائي الشهير "ستيفن هوكينغ" لكن علمه لم يمت! لقد مت يا سيف لكن أخلاقك لم تمت!

مرت أشهر، قبل أن أعود إلى الجزائر، لم أفكر في زيارة عائلتي بقدر ما فكرت في الذهاب لرؤية ماروشكا وجها لوجه، أردت أن أرى هاته الفتاة العجيبة التي أحبها سيف، هاته الفتاة المعجزة! وصلت إلى مطار هواري بومدين الدولي، أخذت أتمشى في الرواق وأنا أشتم رائحة البلاد، كنت كقروي في المدينة! أخذت أشاهد تلك الأضواء الجميلة وتلك الأرضية النظيفة والمطاعم الفاخرة، ومحلات صرف العملة، كان جميع الرجال وسيمين والفتيات جميلات، وجدت أخي الصغير في انتظاري: "أشرف! آه لقد كبرت!".

ـ " جوجو! اشتقت إليك يا أخي!".

حينما احتضنته، شعرت بالانتماء! وأحسست بتفاهة الزمن! بالأمس كنت أغير له الحفاضات واليوم هو شاب قوي!

خرجنا إلى موقف السيارات، وركبنا في السيارة وانطلقنا باتجاه الجزائر الوسطى.

ـ " تبا لك! كبرت وصرت تمتلك سيارة جميلة! كم ثمنها؟ تبدو فخمة؟ من أين لك الأموال؟

ـ " إنها سيارة داسيا ستابواي، لقد اشتريتها بالتقسيط وأنا بانتظار أخي العزيز كي يساعدني في دفع الأقساط!".

ـ " آه أنت لم تتغير! ما زلت تمارس حرفة التسول معي! لقد أصبحت شابا وسيما! هيا اعترف هل من فتاة في حياتك؟".

ـ "هنالك فتيات في حياتي يا أخي، هل تريد واحدة؟ لدي من كل أرجاء الوطن! سأعتني بك يا أخي لا تخف!".

ـ "كبرت وأصبحت زير نساء! أما زلت تعمل تاجرا مع الحاج؟".

ـ" كلا، أنا أعمل الآن مترجما للروايات الأجنبية في إحدى دور النشر، أنظر إلى تلك الفتاة! تبا كم هي جميلة! سأعاكسها! بسست! بسسست! هاتفي به خلل يا جميلتي! رقمك ليس به!".

ـ"توقف عن التصرف بصبيانية يا أشرف! أجبني أولا، هل يمكنك أن تسأل لي عن فتاة تسكن في بابا حسن تدعى ماروشكا؟".

ـ "ماروشكا؟ ما هذا الاسم هل هي روسية؟ آه يا أخي أنت تلعب في الخفاء! ظننتك بريئا وإذا بك تصوب على أهداف عالية!".

ـ " كلا هي صديقة صديق لي وقد أوصاني أن أعطيها شيئا ما".

ـ "حسنا سنذهب هناك وسأسأل أصدقاء لي، لا بد أن نجد من يعرفها".

طلبت من أخي أن يمشي على طريق الساحل، لأنني رغبت بمشاهدة البحر، والأحياء الجزائرية، أخذت أشاهد من النافذة "باب الواد" بعماراتها التي تعود إلى الحقبة الاستعمارية الفرنسية وصولا إلى "الحمامات" ثم "عين البنيان" أين توقفت لمشاهدة المقبرة المسيحية بشواهدها البيضاء الضخمة! "ما أجمل الجزائر! " قلت في نفسي: "لابد أنها ستصبح يوما ما عاصمة للسياحة العالمية!" كان الازدحام شديدا، أظن أننا انتقلنا من زمن سيارة لكل عائلة إلى زمن سيارة لكل فرد من العائلة!

وصلنا بعد نصف ساعة إلى "بابا حسن" وتوقفنا أمام "مركز تطوير التكنولوجيات المتقدمة" ذهب أشرف ثم عاد بعد عشرين دقيقة مع شخص آخر: "جوجو هذا صديقي محمد، محمد هذا أخي عبد الجليل".

كان محمد يبدو شخصا لطيفا بملامح جميلة، كان شابا قصيرا نوعا ما، ذا عينين عسليتين وأنف وفم صغيرين، وكان يرتدي نظارات طبية عصرية بدأ الكلام قائلا:

ـ "متشرف بمعرفتك يا أخي، لقد أخبرني أشرف أنك تبحث عن ماروشكا، أنا أعرفها، إنها ابنة حينا وهي الآن متزوجة ولديها ابنة على ما أظن، يمكنني أن أدلك على مكان عملها، فهي تعمل الآن محاسبة بإحدى الشركات الأردنية في سطاوالي".

انطلقنا إلى الشركة، أظن أن اسمها كان " Kalos Beauty and Youth"، توقفنا أمامها، كانت دقات قلبي تتزايد، وكأنني سألتقي عشيقتي بعد سنوات من الغياب، نزلت من السيارة، وتقدمت نحو الشركة لأجد إحداهن خارجة من بابها وعرفت للتو أنها ماروشكا!

لا أدري إن كانت الأحاسيس هي من جعلتني أتمكن من معرفتها من النظرة الأولى، أم الصورة التي اختلست النظر إليها يوم استشهاد سيف أم من خلال الرسائل التي قرأتها، لكنني وجدت نفسي أحدق إليها من شعرها إلى أخمص قدميها: شعر طويل أصفر، حاجبان دقيقان، خانة فوق عينها والتي كان سيف

يدعوها "الغين" لأنها "عين" وفوقها نقطة، لباسها الأسود البسيط، ومشيتها المتغطرسة!

مرت ماروشكا بجانبي ونظرت إلي نظرة ازدراء ثم مرت.

ـ " ماروشكا! " ناديتها بصوت هادئ.

توقفت فجأة واستدارت، وتغيرت نظرتها المزدرية إلى نظرة دهشة:

ـ " من أنت يا سيد لتناديني باسمي! أنا لا أعرفك!".

ـ "أنا أعرفك جيدا يا سيدتي وأريد أن نذهب لنتحدث في مكان هادئ!".

ـ "من أنت لتجرؤ على محادثتي هكذا! أنا امرأة متزوجة، توقف عن مضايقتي وإلا ناديت الشرطة!".

استدارت بغضب وأكملت طريقها مسرعة، صرخت قائلا:

ـ " إلى اللقاء إذن يا مجعدة الشعر، يامن لا تجيد حتى سلق بيضة!".

ـ "ماذا قلت!" استدارت بسرعة نحوي "أعد ما قلته يا سيد!".

ـ " آه آسف يا سيدتي، لقد أخطأت أنت جميلة الجميلات ذات الشعر الأملس التي تجيد الرقص والغناء وطهو الطعام!".

كانت هاته الكلمات كافية لأجد نفسي بعد بضعة دقائق في طاولة مقهى وجها لوجه أمام ماروشكا، لم أبد مشاعري اتجاهها، قمت فقط بإخبارها أن سيف قد استشهد في معركة وفكرت أن أخبرها بما قاله عنها، لكنني أدركت أنها لا تستحق بعد أن رأيت ردة فعلها:

ـ "آه ليرحمه الله! كان رجلا جيدا!".

ـ "هل تعلمين أنه قد كان متيما بك؟ هل تعلمين أنه قد كان يحتفظ بصورتك دائما في بذلته؟".

ـ " لقد كنت أحبه أيضا، لكن حدثت أمور جعلتني أنفصل عنه، أنت تعرف حين تتدخل العائلة في الأمر".

أحسست بالغضب فجأة لكنني تمالكت نفسي، أردت أن أقول لها: "وهل كريم عائلة؟" لكنني لم أستطع أن أقولها لأنه الآن

زوجها لذلك قلت لها: " أنت محقة إنه المكتوب، المهم أنك سعيدة الآن مع كريم".

- "كريم؟ عمن تتحدث؟ آه خطيبي السابق! نحن لم نتزوج، أنا متزوجة الآن من رجل آخر وقد شاءت الصدفة....".

- "سيدتي علي أن أذهب الآن" نهضت بسرعة.

- " ما بك؟ هل من خطب؟".

- "لا شيء! تذكرت أمرا فقط، سررت بالحديث إليك سأتولى دفع الحساب، الوداع!".

خرجت بعدها مسرعا من المقهى وأنا لا ألوي على شيء، اتصل بي أشرف مرات عديدة لكنني لم أرد، ندمت كثيرا لأنني التقيت ماروشكا في ذلك اليوم، ليتني لم أفعل! لما أنت قاسية يا أيتها الحياة؟ ما ذنبنا أرجوك أجيبيني! تجعلوننا نقع في الحب ثم تدمروننا به! تجعلوننا نعلق آمالا ثم تخطفينها منا! تجعلوننا نضحك يوما لتبكينا دهرا! ليتغمد الله روحك الطاهرة يا صديقي سيف، وليسكنك جناته، ويرزقك من حور العين ما تستحق! عشت رجلا، ومت رجلا، وصنعت رجالا! سنلتقي قريبا يا صديقي العزيز! سنلتقي قريبا! سنلتقي!

"وداعا يا ماروشكا! ماذا؟ أتريدين مني البقاء؟ آسف لا أستطيع ذلك، أريد أن أبقى معك لكنه يناديني! حقا؟ آه شكرا! أنا أحبك أيضا! هل تركت كريم من أجلي! أجل سنتزوج! لا بأس أنا أغفر لك! أنظري إلى "كوراي" كم هو وسيم! هيا قل بابا!!! آه تبا! لما علمته أن يقول ماما فقط؟! أنت "تبستشين" مجددا يا أيتها الفقمة! لاتبك يا صغيري! المخنثون فقط هم من يبكون، هيا تعال لن أدعك عند الماما ستربيك تربية فتاة، هيا ازحف يا أيها اللعين! ولا تتوقف من الزحف حتى أرى الدماء تسيل من ساعديك! آه! أنظري يا ماروشكا! لقد أتت حماتك! لقد أتت أمي الجميلة! لما أنت غاضبة يا أمي! توقفي لا تضربيني فأنا رجل كبير الآن! توقفي أرجوك أنت تؤلمينني! أجل مفهوم يا أمي "البكاء للمخنثين"! سأتوقف عن البكاء توقفي عن ضربي فقط أرجوك! الأمهات لا يضربن أولادهن! أنت قاسية كثيرا! أنا أكرهك! سأهاجر وأتركك كما تركك أبي! سأذهب إلى المكسيك! لا تبصق يا "كوراي" هذا عيب! أنت رجل متأدب! أين هي أمك؟ ماذا؟ ذهبت مجددا؟ لا!!! تعالي يا ماروشكا أرجوك! لا تتركيني مجددا! لما يسرقك ذلك الأسمر المغفل مني كل مرة! أنا آسف يا أمي لأنني تركتك! أنا نادم لأنني أتيت إلى الحياة!"

9 789931 689317

تصميم Zakaria REGGAB

المثقف للنشر والتوزيع